جهود الأميرة بديعة الحسني الجزائري في حماية مخطوطات الأمير عبد القادر الجزائري .(ما لها وما عليها).

د.سليمان قوراري

جامعة أدرار

تعد الأميرة بديعة الحسني الجزائري ، إحدى حفيدات الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله ، نموذجا مضيئا ، ونجمة مشرقة في ميدان البحث العلمي الموضوعي ، لحماية مخطوطات الأمير عبد القادر الجزائري ، ومن ثم مكانته العلمية من عملية التزييف والتشويه التي تحاول بعض الأطراف إلصاقها بشخصيته العظيمة ، الداعمة لقيم الحب والعدل والتسامح ، ومن هذه المراجع التي احتوت على بعض المغالطات كما كشفتها حفيدة الأمير ، الأميرة الجليلة بديعة الحسني ، كتاب يسمى (حياة الأمير) تقول الأميرة (بديعة الحسني) " إن الله أعطانا العقول لنفكر بها ، الدوق دومال كان يقاتل الأمير وعدو قديم فكيف يصفه تشرشل بالصديق القديم ؟ أليس من واجب المؤرخ أو الباحث تسمية الأشياء بأسمائها ؟ فلماذا لا يسمي هذا المستشرق الاتفاق الذي أصرّ هذا المجاهد على التمسك به ورفض أي بديل عنه حتى حمله إلى قبره باسمه ؟ أي اتفاق استئمان. ولماذا لم يسمّ هذا الحدث الخطير بما يسمى به وأعني الغدر وعدم الوفاء بالعقود التي هي شريعة المتعاقدين حتى في المفهوم الاستعماري والدولي ؟ .... ألم يكن هذا الأمير هو من قرر وقف الحرب بعد أن تغيّرت وجهتها وأصبحت حربا دفاعية بينه وبين قوات نظامية لدولة شقيقة ؟ هذا الموقف الإنساني والوطني ، لماذا لم يشر إليه تشرشل ولو بسطر واحد ؟ وعمد إلى تبديل طلب الأمان التي تعني في قوانين الحرب عند المسلمين الاستئمان ، ولها باب خاص اسمه باب الاستئمان (وهناك بحث للأمير من أربع صفحات في كتاب تحفة الزائر عن الهجرة والاستئمان) .

وستكون لنا وقفة مع شخصيتها الكريمة ، ثم وقفة ثانية مع جهودها في التعريف بتراث الأمير العلمية ، ومدى ما لحقها من قبل البعض من محاولات تشويهية بقصد أو دون قصد ، ومن منطلق حرصها الدؤوب على حماية تراث جدّها

الكريم ، سنستعرض أهم الكشوفات والبحوث العلمية التي قدّمتها لإنصاف شخصية الأمير عبد القادر ، من اتهامات المغرضين ، ونحل المنتحلين ، وستكون لنا وقفة ثالثة ، مع مجموعة من كتبه التي تناولتها الباحثة بالدرس والتحليل ، وسنكتفي بكتاب : المواقف.

تنطلق المداخلة من إشكالية محددة مفادها ، ما هي الجهود العلمية التي أضافتها الأميرة بديعة الحسني الجزائري ، لأجل إنصاف مخطوطات جدّها الأمير ، وإلى أي مدى استطاعت الأميرة أن تنصف الحقيقة الموضوعية ؟ وما أثر ذلك في الميدان الفكري ؟ وستستعين المداخلة بمجموعة من المصادر والمراجع لتحقيق هذه الغاية ، من أبرزها مؤلفات الأمير المتنوعة الصحيحة النسبة إليه والمتنازع حول نسبتها إليه ويأتي في مقدمتها كتاب المواقف الذائع الصيت، إضافة إلى ما كتبه العارفون بسيرته ، أو من جاء بعدهم من الدارسين إلى يوم الناس هذا.

جوانب مضيئة ومختصرة من سيرة البطل العظيم الأمير عبد القادر الحسني الجزائري :

أولا : في رحاب شخصية الأمير عبد القادر الجزائري (1222 – 1300 هـ = 1807 – 1883 م):

تناولت عديد المصادر والمراجع ترجمات متعددة لشخصية الأمير عبد القادر ، من الولادة إلى الوفاة ، وهذه الترجمات تختلف من ناحية الطول والقصر تبعا لمنهجية كل مترجم ، وعدد المصادر المتوافرة لديه للشخصية المترجم لها ، ولكنها تتفق في أن هذا البطل المغوار ، والعالم الجليل شهرته (الامير) عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسيني الجزائري ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولد الأمير في القيطنة وهي قرية اختطها جده في ايالة وهران من أعمال الجزائر وتربى في حجر والده إلى أن بلغ سن التمييز. فحفظ الكتاب العزيز وتلو بعض العلوم وكان والده كأسلافه من العلماء الأعلام الذين يرجع إليهم في مشكلات الأحكام. ولما بلغ سن الأمير أربع عشرة سنة سار إلى وهران لاستكمال فنون العلوم ، فجد في تحصيلها وطالع كتب الفلاسفة ودرس الفقه والحديث وعلم الهيئة والتاريخ ، وفي سنة 1241 سافر مع والده برا إلى الحجاز على طريق مصر ، وبعد أداء

فريضة الحج قصدا المدينة المنورة ومنها توجها إلى دمشق صحبة الركب الشامي، ثم سافرا إلى بغداد ورجعا إلى الوطن بعد أن عرجا على دمشق والحجاز ،

وفي سنة 1248 بايعه أهل الجزائر وولّوه القيام بأمر الدفاع عن البلاد وذلك بعد أن طلبوا مبايعة والده. فاعتذر عن قبولها. فلما ألحوا عليه أشار عليهم بمبايعة ولده لما رأى منه من الكفاءة بما يتعلق بهذا الأمر الجلل ، فلما بايعوه اتخذ لقب الأمير في رعيته"[1] . نظم الأمير شؤون بلده وإمارته الفتية ، " وصورة المبايعة مذكورة في كتاب " عقد الأجياد في الصافنات الجياد " لسعادة محمد باشا ، فلمّا بايعوه قام بالأمر في تلك الأقطار ، وأحسن السياسة في رعيته مقتفيا آثار اسلافه السادة الدارسة الذين كانوا ملوكا في المغرب القصى والأوسط والأندلس ، فتمكّن حبه في قلوبهم وبذلوا نفوسهم في طاعته وامتثال أمره "[2] ونهض بأعباء الحكم على أحسن ما يكون القيام ، وضرب في أثناء حكمه " نقودا سماها " المحمدية " وأنشأ معامل للأسلحة والأدوات الحربية وملابس الجند. وكان في معاركه يتقدم جيشه ببسالة عجيبة. وأخباره مع الفرنسيين في احتلالهم الجزائر، كثيرة، لا مجال هنا لاستقصائها." [3]

قام الأمير عبد القادر الجزائري بواجب إمارة المؤمنين ، بالدفاع عن حوزة البلاد والدين ، بموجب عقد البيعة المباركة التي تمّت تحت ظلال شجرة الدردارة المشهودة ، حيث " قاد أقوى مقاومة مسلحة ضد الاحتلال الفرنسي لبلاده الجزائر، وكان عمره نحو العشرين عامًا عندما بويع سنة 1832م أميرًا للجهاد المسلح ضد الاحتلال ، وقائدا لشعبه في معارك متعددة حتى عام 1848م.مؤسسا لإمارة إسلامية ، ومنظما لجيشه على غرار الجيوش الأوروبية الحديثة آنذاك.

---

[1] - معجم المطبوعات العربية والمعربة : يوسف بن إليان بن موسى سركيس (المتوفى: 1351هـ)الناشر: مطبعة سركيس بمصر 1346 هـ - 1928 م، ص: 691 ، 692.

[2] - تعريف الخلف برجال السلف : أبو القاسم محمد الحفناوي . تقديم : محمد رؤوف القاسمي الحسني . (الأنيس سلسلة العلوم الإنسانية تحت إشراف علي الكنز) .موفم للنشر .طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، 1991م ج2 ، ص: 140 .

[3] - الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) . دار العلم للملايين.الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م. ج4، ص: 45 ، 46. وينظر : ترتيب الأعلام على الأعوام (الأعلام لخير الدين الزركلي) : رتبه وعلق عليه : زهير ظاظا . فهرس كتابي : الأعلام والترتيب : محمد نزالا تميم وهيثم نزار تميم . شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان (دون تاريخ) م2 ، ص: 710 .

مرّ جهاد الأمير بفترة أولى امتدت من عام 1832م إلى عام 1839م. وفيها سيطر على تلمسان، واعترف له الفرنسيون بحكم غربي الجزائر ما عدا مدن الساحل: وهران ومستغانم. ثم تجددت الحرب، وتجدد له النصر. فعقدت فرنسا معه معاهدة تفنا عام 1254هـ، 1838م، وتخلت له بموجبها عن حكم منطقة وهران، ولكن الفرنسيين نقضوها عام 1839م، عندما رأوا تنظيم جيشه. فبدأت بذلك المرحلة الثانية من الجهاد، عندما حشدت فرنسا تحت قيادة بوجو مائتي ألف جندي لمواجهة المجاهدين.

وقد اتبع بوجو سياسة وحشية تدميرية، آثارت حتى بعض النواب الفرنسيين في المجلس الفرنسي. كان لا بد أمام حرب الإبادة الفرنسية، وخذلان الأمير المراكشي له ــ من التفكير في إيقاف الحرب ، فاستسلم عبد القادر "[1] . ولكلمة الاستسلام ملاحظات قيمة للأميرة بديعة الحسني ستأتي في حينها لتفنيد هذه المغالطة التاريخية الكبرى ، والتي تدرس وترد في المؤلفات !!!. يضيف الأب (لويس شيخو) الأمير عبد القادر إلى أدباء الشام ويعده من رجال السيف ومن فرسان القلم. " ومن مبزاته جازاه الله خيراً دفاعه عمن احتمى في داره من نصارى دمشق في مذابح سنة 1860 وكان عددهم نحو أربعة آلاف. [2]

ومن المحطات البارزة في سيرة الأمير العلمية ، أنه بدأ " يتفرغ لما اختار من الموضوعات العلمية من قبل وهو في قلعة "أمبواز" الحصينة ، فحوّلها إلى خلية نحل للدراسة ، وداوم مدة خمس سنوات على التدريس والإفاضة في البيان والتثبيت لإفادة خاصته البالغين نحو ثمانين فردا ، فقرأ السنوسية في التوحيد مثلما كان قد قرأها في أثناء الاشتغال بالمعارك الحربية والشعور بالحاجة إلى الاستعانة بمثلها في مواجهة الغزو الفكري، وقرأ عليهم أكثر مدونات الفقه المالكي شهرة بالغرب بعامة و" تلمسان " بخاصة ، وهي رسالة الإمام ابن أبي زيد القيرواني وغيرهما ، وسلك إخوته

---

[1] - الموسوعة العربية العالمية . مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع (1419هـ (1999م) . الرياض ، المملكة العربية السعودية . ط2 1419 هـ(1999م) . م8 ، ص: 325 . وقد لاحظت خطأ التاريخ الميلادي الذي ذكرته الموسوعة ، حيث تقول :" فاستسلم عبد القادر 1291هـ 1874م" والصواب هو (1847م) . والأقرب أن الخطأ مطبعي فقط .

[2] - تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (المتوفى: 1346هـ) . دار المشرق –بيروت ، الطبعة: الثالثة .ص:216.

مسلكه ، فنهض أخوه الكبر محمد السعيد والأخ مصطفى ، وكذا خليفته وابن عمه ابن التهامي ، فأفادوا الطلبة إفادته ، واجتمعوا لقراءة " البخاري" و" الشفا" للقاضي عياض واستمروا إلى يوم السراح" [1] .

وتعد شخصية الأمير عبد القادر متعددة المواهب والسجايا والعطايا ، وللعلماء والأدباء والحكماء كلمات نيّرة حول هذه الشخصية الفذّة قولا وعملا ، ولكننا سنختار بعض هذه الشهادات المتعلقة بالجانب الإنساني للأمير ، ففي دراسة حول تاريخه العسكري والإداري قال الباحث (أديب حرب) : " لا أستغرب أن يكون عبد القادر بن محي الدين المتعلق بالطريقة القادرية ، قد أمضى شطرا من حياته في العبادة والزهد في زاوية القيطنة وأنهى أيامه بأعمال إنسانية وفقا لمبادئ الدين والشريعة حتى في أصعب الظروف وأحرجها . .. أما طريقته في معاملة الأسرى فكانت خير مثال لإنسانيته ، إذ كانوا موضع اعتناء واهتمام كبيرين ، وكانت زوجته أيضا تسهر على راحة الأسيرات وتقدم لهن المأكل والمشرب " [2].

كما ذكر كاتب الأمير السيد (قدور بن رويلة) بعضا من خصال أمير المؤمنين السيد الحاج عبد القادر نصره الله فقال بعد كلمات نيرات حوله " اعلموا ـــ رحمكم الله ـــ أن مولانا أمير المؤمنين ـــ نصره الله ـــ قد وفى ببيع نفسه من ربه ، وانتصر لدين نبيه محمد ـــ صلى الله عليه وسلم تسليما . وأعد للكفار ما استطاع من القوة ، وأجهد في إصلاح الأمة المحمدية غاية الجهد ، وأنفق نفيس عمره في ذلك بلا حد ، وقاتل في سبيل الله ، وغزا غزوات عديدة ، أطعم الكفار فيها ألم السهر ، وسقاه العلقم والصبرِ ، وعمر بيت مال المسلمين وأنفقها في مصارفها . فملكه الله أرضه من وجدة إلى تونس . فنشر فيها أحكاما للشريعة المحمدية بعدما درست ، وجعل في أقطار ملكه خلفاء بعد أن آيست ، وجعل لكل خليفة عسكرا وإقامة ليحمي بيضة الإسلام من شوكة عبدة الأصنام . وينصر المظلوم ويقتص من الظالم . وبنى

---

[1] - الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه : محمد السيد محمد علي الوزير. الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر 2007م. ص: 50 .

[2] - التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1847/1808): دـــ أديب حرب . دار الرائد للكتاب . الجزائر ، الطبعة الثالثة 2005م . ص: 12 ، 13 .

ـــــ نصره الله ـــــ حصونا لخزائن بيت المال وعمل على كل حصن بلدة منها " تاقدمت " و"تازة" و" سعيدة " و" بوغار " و" عريب " و" سبدو " وغيرها . وسيزيد ـــــ بحول الله وقوته ـــــ ما يغيظ به الكفار ويكسر به شوكتهم ويقصم صدورهم . فصدّ الله في أرضه صيتا عظيما ، وملكا كبيرا ؛ مستندا فيه إلى أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمن بن هشام نصره الله[1] .

إمعانا في الخدمات الجليلة التي قام بها الأمير في أرض الشام يخصص الآغا بن عوده المزاري كلاما شيّقا علميا حول مآثر الأمير : " هذا وله خوض في جميع الفنون لم يقتصر على الفقه فقط ، لاسيما علم الأدب والشعر كما شوهد من عدة رسائله ، فقد قال أهل دمشق : إنه حصل سرور عظيم حين صادف فرصة في حماية النصارى من الفتك بهم حيث الثورة التي وقعت في سنة 1860 "[2] .

كما بلغ الأمير عبد القادر في التقوى والصلاح شأوا كبيرا ، وذلك بفضل من الله تعالى أولا ، وبحسن توجيه وتربية من الوالدين الأبرين الأكرمين ، (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربّه) .

وهذا كله مدوّن في سيرته الذاتية التي كتبها في السجن سنة 1849م ، ونشرت لأول مرة ، ذلك أنه " ومنذ كان في حال طفولته يافعا يتخلق بالأخلاق الجميلة والأوصاف النبيلة "[3] ويواصل يوسف الياس سركيس الدمشقي حديثه حول جوانب من ترجمة الأمير فيقول " ولما أفضى الامر إلى نابوليون الثالث عاهل الفرنسيس زاره في امبوار وأظهر له كل تجلة وإكرام وأسف أسفا شديدا على تأخير الوفاء بإنجاز الشروط إلى ذلك الوقت.

---

[1] - يعلق محقق كتاب " وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ويليه ديوان العسكر المحمدي المليانى " أ : محمد بن عبد الكريم . " هو سلطان المغرب الأقصى . وهذا مما يدلنا أن الأمير كان يكن للسلطان عبد الرحمن صداقة خالصة . وإخلاصا تاما ، ولكن في الأخير تعكر الجو بينهما " هامش رقم (2) ص: 74 . من كتاب : وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ويليه ديوان العسكر المحمدي المليانى : قدور بن رويلة . تقديم وتحقيق : أ : محمد بن عبد الكريم . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، سبتمبر 1968 . ص: 73 ، 74 .

[2] - طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر : الآغا بن عوده المزاري . تحقيق ودراسة : د/ يحيى بوعزيز . دار البصائر ، الجزائر ، الطبعة الأولى 2007م . ج2ص: 254

[3] - مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849 تنشر لأول مرة .: تحقيق : د/ محمد الصغير بناني وآخران . أخرج أحاديث الطبعة : أ : عبد المجيد بيرم . دار الأمة ، الجزائر ، . ص: 50 .

وبعد أن بشره بالتسريح إلى بلاد الإسلام أخذ عليه العهد أن لا يرجع إلى بلاد الجزائر وأهداه سيفا مرصعا ورتب له في السنة مائة الف فرنك على أن تصرف له مشاهرة ثم سافر الامير ومن معه إلى القسطنطينية وتقابل مع السلطان عبد المجيد فاحتفل به احتفالا عظيما وأنعم عليه ، بدار في مدينة بروسة فسكنها مع أهله وحشمه عامين وستة أشهر وفي سنة 1271 عزم على مبارحة بروسه لتوالي الزلازل فيها فاختار الاقامة بدمشق فأتى إليها وتلقاه أهلها باحتفال ، عظيم ونزل دارا فسيحة بمحلة العمارة وفي نكبة 1860 م بذل الامير قصارى جهده بانقاذ جماعة غير قليلين من المسيحيين وأسعفهم في ضيقهم وكانت وفاته بدمشق بعد أن مرض خمسة وعشرين يوما وقد تولى غسله وتكفينه الشيخ عبد الرحمن عليش أحد علماء الازهر وحمل نعشه على أكتاف الرجال إلى الجامع الاموي وبعد الصلاة عليه شيعه أهل دمشق إلى حجرة الشيخ الاكبر فدفن بها في جـــــــواره"[1] .

وجاء في حاضر العالم الإسلامي أنه " قضى بقية حياته في مثاقفة العلماء وإسداء الخيرات ... "[2] هذا ويذكر الدارسون لدولة الأمير عبد القادر الجزائري أن هذا الأمير الجليل : " كان يبذل كل غال ونفيس في استحضار الكتب وجلبها من الآفاق ، وسواء كان ذلك عنده بالشراء أو النسخ والنقل "[3] . ومهما قال الدارسون حول شخصية الأمير فإن ذلك يعد نزرا يسيرا من فضائل هذا الأمير الهمام ، الذي أعلى ورفع راية الإسلام خفاقة إلى عنان السماء .

لمحة حول ترجمة السيدة الفاضلة الأميرة بديعة الحسني

الأميرة بديعة الحسني الجزائري ، أرملة العميد المرحوم عدنان محمد راغب العجلاني ، والدة فوزان وبتول وغياث ويزن ، ولدت في الثلاثينات في تطوان ، المملكة المغربية ، درست في معهد دوحة الأدب في دمشق . خريجة دار اللغات

---

[1] - معجم المطبوعات العربية والمعربة . ج2، ص: 692 ، 693 .

[2] - حاضر العالم الإسلامي تأليف : لوثروب ستودارد المريكي . نقله إلى العربية : أ : عجاج نويهض . وفيه فصول وتعليقات وحواش مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث . بقلم أمير البيان والمجاهد الكبير : الأمير شكيب أرسلان . مكتبة ابن تيمية . القاهرة . ج2 ، ص: 172 .

[3] - تاريخ الجزائر العام . عبد الرحمن بن محمد الجيلالي . دار الأمة ، برج الكيفان ، الجزائر ، طبعة 2009م .. ج5 ، ص: 94.

بدمشق المرخّصة من جامعة كمبريدج ، انكلترا ، شاركت بوصفها عضوا عاملا في ندوة الحوار الإسلامي المسيحي التي انعقدت في طرابلس الغرب.

في أثناء العدوان الثلاثي على مصر تطوعت في المقاومة الشعبية ، وكانت قائدة لوحدة فدائية . ألفت عددا من الكتب : 1. ناصر الدين الأمير عبد القادر بن محي الدين في حقبة من تاريخ الجزائر ، طبعة ثانية منقحة ومزيدة . دار سلام ، دمشق 1993م . 2. الجذور الخضراء ، دار سلام ، دمشق 1994م . 3. الأسس الاقتصادية في الإسلام ـــــ ردود على مغالطات تاريخية ، دار الفكر ، دمشق ، 1993م . 4. أصحاب الميمنة .دار سلام ، دمشق .1997م. 5ز سيرة ذاتية بعنوان (قطوف باسقة) دار سلام ، دمشق ، 1997م ." [1]

وفي قراءة للباحث : خليل الصمادي[2] في كتاب (طائر في سماء المجد الشهيد الأمير عز الدين الحسيني الجزئري) والذي نشرته دار الفكر بدمشق الفيحاء في طبعته الأولى : 2007 م (حوالي 400 ص) .يقول" قبل قراءة الكتاب لا بد من التعريف بالكاتبة، فالأميرة بديعة بنت الأمير مصطفى الحسني الجزائري من أحفاد الأمير عبد القادر الجزائري نزيل دمشق ، ناشطة في المجالي الفكري والأدبي في كل من سورية وبلاد المغرب العربي كتبت العديد من الكتب منها : الأمير عبد القادر الجزائري دمشق 1992، والجذور الخضراء دمشق 1994، والأسس الاقتصادية في الإسلام دمشق 1993 وغيرها من الكتب وكذا نشرت عشرات المقالات في المجلات والجرائد الدمشقية والجزائرية والمهاجرة ، كما أنها حاضرت في العديد من الجامعات الجزائرية ..والكاتبة الأميرة بديعة تبدأ كتابها الكبير بمقدمة ترسم خلالها ملامحها الفكرية التي آمنت بها قبل أكثر من سبعة عقود من الزمن وهذه الملامح المشاعر المشتركة ووحدة الأمة بين المسلمة عربها وعجمها ومشارقها ومغاربها، فهي وإن ولدت في تطوان بالمغرب إلا أن رضعت الفكر من المشرق ومزجته بحنينها

[1] - مأخوذة من كتاب : الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف . غلاف الكتاب .

[2] - عضو اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين/ الرياض

للموطن الأول مما نتج عن ذلك سمو ورقي في العلاقات الإنسانية وقواسم مشتركة بين أهل المغرب والمشرق وحدتها الدين الواحد واللغة والآلام المشتركة .." [1]

تجليات جهود الأميرة بديعة في حماية تراث جدها الأمير

1) الدعوة إلى الدراسة النقدية للتاريخ :

ويتجلّى ذلك عند الميرة بديعة من خلال دعوتها إلى تنقية التاريخ والمقررات التعليمية من المغالطات التي تمسّ سيرة المجاهد الكبير الأمير عبد القادر الجزائري ، حيث أنها انطلاقا من بعض العبارات الواردة في بعض الكتب المؤرخة لحياة جدّها مثل عبارة استسلام الأمير لفرنسا ، فإن الأميرة (بديعة الحسني) ترفض بشدّة هذا المصطلح (الاستسلام) وتطالب الجهات الرسمية بحذفها من الكتب واستبدالها بعقد الاستئمان المؤصّل في التراث العربي الإسلامي ، وتقدم الأميرة بديعة تصويرا واقعيا لحيثيات تلك اللحظات التاريخية التي غابت عن أذهان الذين كتبوا عن سيرة الأمير دون بيّنة ولا برهان ولا كتاب منير ، وغابت عن أولئك الذين عميت بصائرهم فطفقوا يهرفون بما لا يعرفون، ويتهمون الأمير في دينه ووطنيته ، وهم لا يصلون إلى بذل مثقال ذرّة مما بذله أبسط جندي من جنود الأمير ، تقول الأميرة بديعة : " لم تدم هذه الأحاديث بينهم أكثر من دقائق ، وقف الطيب المختار ، وسأل الأمير : " ماذا بعد وقف الحرب ؟" ، أجاب الأمير :" الهجرة من البلاد ، لأنني شخصيا مستحيل علي العيش ولو للحظة واحدة تحت راية ليست راية بلادي الإسلامية ، وليست راية دولتي " . فوافق الجميع على وقف الحرب ، ثم تساءلوا كيف السبيل إلى الهجرة والخروج من هذا المكان الذي نحاصر فيه ، أجاب بن علال ، وكان من الفقهاء : " سنطرق باب الاستئمان الزمني" ، قال الأمير : " نعم أيها الإخوة سنطرق هذا الباب ، وهو باب معروف في الجهاد بالإسلام ، والهجرة في ظروفنا هذه ، أعتقد أنها أصبحت حقا

[1] - قراءة في كتاب "طائر في سماء المجد": خليل الصمادي . رابطة أدباء الشام . www.odabasham.ne تاريخ الزيارة 2014/12/24 الساعة 11:45 صباحا .

علينا ، وإن لم نطرق بابها نكون آثمين بحق أنفسنا ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ (النساء 100/4) [1] ...

ثم تابع الأمير كلامه فقال : " سأرسل رسالة شفهية إلى الجنرال لامورسيير ممثل الدولة التي تحتل بلادنا ليخبرها باسمي بأنني أريد طريقا آمنا بقصد ترك البلاد والسفر إلى الإسكندرية أو عكا ، فإن وافق فالخيرة فيما اختاره الله ، وإن رفض نكون أمام الله لم نأل جهدا ونتحرك بما عندنا من قوة لفتح مضيق "غربوس" والاتجاه نحو الصحراء في حال انتصارنا . لا شك أنها ستكون مغامرة ولكن لا خيار لنا لأننا حيث ما توجهنا سوف نجد سدا من صدور إخوة لنا في الدين جندهم الأعداء ليتخذوا منهم حاجزا ودرعا لهم " [2] .

- وحول قصة هجرة الأمير في ظل تلك الظروف والملابسات المعقّدة تروي الأميرة بديعة للشروق قائلة : " كانت الرحلة حسب ما روته لي أمي وما روته لها جدتي في ليلة شديدة الظلام وممطرة باردة، كان مرفوقا ببعض الجرحى الذين كانوا يتلوون من الألم، وبعد أن قرر الأمير الهجرة بقي أن يؤمن طريقها، ويضمن الوصول خارج الجزائر، ولأن الاتصال بالمغرب "المراكشيين" كان مستحيلا بحكم معاهدة طنجة سنة 1844م.

وعليه لا يمكن أن يعقدوا مع الأمير اتفاقية أخرى، بل كان الاحتمال الأقرب لو استنجد بهم أن يسلموه لفرنسا. عقد الأمير عبد القادر مع فرنسا اتفاقية "استئمان"، وكان مطلبه السماح له بالذهاب إلى "عكا"، لا كما قال ابنه في "تحفة الزائر" أن أباه وضع شروطا. وكانت عكا يومها جزءا من الدولة العثمانية.

كان بإمكان فرنسا الرفض ومتابعة القتال ولكن الجنرال الفرنسي لامورتين ركب حصانه وقصد الأمير، وكان قد كتب رسالة إلى زميله ابن الدوق دومان يخبره بأن الأمير يريد وقف الحرب والخروج من الجزائر وانه لا يمكن انتظاره خوفا من أن

---

[1] - تتمة الآية الكريمة : ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (100).

[2] - الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره (وما بدلوا تبديلا) : الأميرة بديعة الحسني الجزائري . ترجمة : د/ أبو القاسم سعد الله . دار الوعي . ، رويبة ، الجزائر . 2012م . ص: ص: 176 ، 177 .

يغير الأمير رأيه، وعقد الاتفاق. السؤال الذي يطرح نفسه أين محل كلمة "استسلام" من كل ما قلت، وأؤكد أن ما حصلت عليه بالتواتر من الذين كانوا معايشين لتلك الفترة.

وأؤكد أن كلمة "استسلام" اخترعها المستعمر الفرنسي لإذلال الجزائريين وسلبهم البطولات ونحن تبنيناها ودرسناها في كتبنا. أليس هذا أمر مخز ومحزن؟"[1] ومن ثم فإن الأميرة بديعة لا تفتأ تناشد وزارة التربية لتصحح الأخطاء ، وذلك لأن " الرجل الذي قضى سبع عشرة سنة على حصانه، في مقدمة الجيوش ويدير في نفس الوقت دولة، فهو مؤسس الدولة الجزائرية. إذا هذا الإنسان يستحق أن تكتب عنه صفحة في كتب التاريخ تحفظ كرامته، فقد قرأت "برز من الشعب رجل شجاع..." دون ذكر للخلفيات. "أرى في أيامي كلها المنية ولا الدنية"، لماذا حذفت؟"[2]

ومما يذكر في هذا الصدد أن الأمير عرضت عليه فرنسا ـــــ بعد أن أخلفت الوعد ـــــ بواسطة (دوماس) أن يتخذ من فرنسا الوطن الأم له يسكن حيث يشاء في مقابل مساعدتها الحيوية ومنحها له أراضي ، وأملاكا وأموالا ، مع استرخاصها لكل من يريد الإقامة إلى جانبه والسكنى معه ومجاورته ، من أصحابه وذويه . أتدري ماذا قال الأمير ؟ وبماذا أجاب ؟ إنه قال : " إني لا أقبل هذا ولو فرشت لي سهول فرنسا ومسالكها بالديباج ".

وأعظم من هذا أنها عرضت عليه سكنى(باريس) أسوة بخديوي مصر (إبراهيم باشا) فقال: " إن إبراهيم باشا يرى باريس وغيرها من أمصار فرنسا منتزها يمرح فيه كيف شاء. وأما أنا فلا أرى فرنسا إلا سجنا لي ولمن معي فلا فرق عندي بين طولون وباريس"[3].

---

[1] - بديعة الجزائري حفيدة الأمير عبد القادر في حوار شامل مع الشروق .الأمير هاجر بعد أن تآمر عليه جزائريون .. ولم يستسلم .حاورتها بدمشق: آسيا شلابي http://www.echoroukonline.com (آخر تحديث: 13/07/2008 تاريخ الزيارة : الجمعة 26 ديسمبر 2014 ميلادي الموافق لـــ 4 شهر ربيع الأول 1436هجري الساعة : 1: 58 .

[2] - بديعة الجزائري حفيدة الأمير عبد القادر في حوار شامل مع الشروق .الأمير هاجر بعد أن تآمر عليه جزائريون .. ولم يستسلم .المرجع السابق .

[3] - بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري : د/ يحيى بوعزيز . الأعمال التاريخية . طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين ، عالم المعرفة ، الجزائر 2009 . ص: 49 .

هذه موعظة بليغة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، شاهدة على عمق إيمان الأمير وثقته بربه ، وعدم اغتراره بزخارف الدنيا وزينتها الفانية ، وأنه لا يرضى بأرض الإسلام بديلا للإقامة ، وعبادة ربه ، وهو درس كبير ، للذين لا يفقهون سيرة الأمير، من الذين يزايدون على وطنيته ، وإسلامه ، فهاهو أمام الامتحان ، فلم يتلجلج ولم يتزحزح عن مبادئه ، بل قدّم لفرنسا وقادتها أعظم الدروس في أنفة وعزّة المسلم الواثق بنصر الله وتأييده .

لقد طالبت الأميرة بديعة الحسني الجزائرية ، الدولة الجزائرية بتصحيح المغالطات التاريخية الواردة بحق الأمير عبد القادر في المقررات التعليمية، أهمها قضية الاستسلام.

وفي حوار لجريدة الشروق مع الأميرة بديعة في دمشق ورد هذا السؤال الذي طرحته الصحفية (آسيا شلابي) ما هي الحقيقة التاريخية التي ناضلت من اجلها إلى اليوم ولم تتغير؟ أجابت الأميرة قائلة : " الأمير عبد القادر لم يستسلم وخرج من الجزائر كمهاجر اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة "ولكم في رسول الله أسوة حسنة"، الأمير عبد القادر وجد نفسه محاصرا من إخوانه المسلمين العرب، من جيران الجزائر وأشقائها، ومن بعض الجزائريين أيضا الذين هادنوا فرنسا، بل ومنهم من ساعدها وأخذ السلاح ليحارب الأمير. ولم يكن أمامه حل آخر غير حقن الدماء في حرب تحولت وجهتها من الأعداء إلى الأشقاء." [1]

وفي كلامها رد بليغ على المغالطة التي وقع فيها جلّ من يكتب في سيرة الأمير عبد القادر ، ومن هذه مواضع هذه الأخطاء ما ورد في الموسوعة الأخيرة التي عرضت في المعرض الدولي للكتاب في العاصمة في ترجمة الأمير قول أصحابها : " " في يوم 23 ديسمبر 1847م وبعد المعارك الضارية التي خاضها ضد العدو رغم المشاق الكبيرة ، اضطر الأمير عبد القادر للاستسلام بشروط ...." [2]

---

[1] - بديعة الجزائري حفيدة الأمير عبد القادر في حوار شامل مع الشروق .الأمير هاجر بعد أن تآمر عليه جزائريون .. ولم يستسلم .المرجع السابق .

[2] - موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين : إعداد مجموعة من الأساتذة . تقديم : أ.د: محمد الأمين بلغيث . إشراف : رابح خدّوسي . منشورات الحضارة ، بئر التوتة ، الجزائر ، طبعة 2014م . ج1 ، ص: 642 .

والخطأ نفسه حسب الأميرة بديعة وقع فيه جامع كتاب أعلام الفكر الجزائري حيث قال " ومع ازدياد الضغط استسلم للمستعمر سنة 1847م واشترط نقله إلى عكا أو دمشق "[1].

وهناك كتاب أطلق عليه مؤلفه (معجم الأدباء والعلماء المعاصرين) استجابة لرغبة بعض إخوانه الأساتذة والطلبة للتخفيف عنهم من مشقة الرجوع إلى أمّات كتب الأعلام والمشاهير حسب زعمه في مقدّمة الكتاب .

وفي هذا الكتاب يردّد جامع الكتاب المعلومات نفسها حول أكذوبة استسلام الأمير ويضيف إليها خطأ آخر وهو نفي الأمير[2] ، جاء في هذا الكتاب ما نصّه : " ولمّا هادن سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمن بن هشام وخانته بعض القبائل الجزائرية ضعف أمر الأمير عبد القادر فاشترط شروطا (للاستسلام) رضي بها الفرنسيون سنة 1847 فنفوه إلى طولون ومنها إلى أنبواز ..." [3] .

---

[1] - أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة : محمد بسكر . دار كردادة للنشر والتوزيع ، بوسعادة ، الجزائر ، طبعة خاصة 2013م . ج1 ، ص: 394 .

[2] - ترد الأميرة على أكذوبة النفي التي يذكرها الكتاب عادة دون تمحيص ، مجيبة مستجوبتها الشروقية : " إلى جانب "الاستسلام"، درسنا أيضا أن الأمير عبد القادر نفي إلى دمشق عاصمة سورية، أين هذا من الصحة؟ سؤالك هذا أسعدني كثيرا، لأننا وبعد حديث طويل عن الاستسلام تأتي فكرة النفي. النفي هو عقوبة، الأمير عبد القادر كان رئيس دولة ولم يؤسر، لأنه لم يكن في معركة ضد المحتلين، بل في معركة دفاعية ضد قوات السلطان عبد الرحمن بن هشام المراكشية وانتصر عليهم. الأمير عندما عقد الاتفاق مع فرنسا للذهاب إلى عكا أصبح في يده وثيقة رسمية تحميه لا تأسره. الباخرة خرجت به من الجزائر إلى عكا، غيرت فرنسا رأيها، لأن عكا بلد إسلامي تحكمه الدولة العثمانية وعليه لن تكون لفرنسا عليه سلطة، فتخوفت من أن يعود إلى الجزائر ويستجمع قوته من جديد وهو ما أكده الجنرال بيجو في كتابه، حيث وردت الجملة التالية "الأمير وقع في شبكة حيكت ببراعة عجيبة" فألغت فرنسا الاتفاق ولم تخبره إلا عندما وصلت الباخرة إلى طولون، أين دخل عليه دوماس وأخبره بذلك. الأمير حسب ما روي لي لم يفاجأ كثيرا، لأنه يعلم مسبقا أن الغدر من سمات العدو. وعرض عليه الإقامة في أي مكان يريده بفرنسا ويملكونه القصور والمزارع والمال ويعيش كنبلاء فرنسا، له كل ما يريد هو ومن معه. فكان جوابه وهذا موثق تاريخيا وأنا شخصيا سمعتها عن أحفاده "لو وضعتم فرنسا كلها في برنوسي هذا، لنثرتها على أمواج هذا المحيط ولن أقبل بديلا عن الاتفاقية التي خرجت بموجبها من الجزائر، وسأحملها معي إلى قبري، ولا يمكن التنازل عنها وارفض هذا الطلب رفضا قاطعا"، هذا رفضه للنفي. بديعة الجزائري حفيدة الأمير عبد القادر في حوار شامل مع الشروق .الأمير هاجر بعد أن تآمر عليه جزائريون .. ولم يستسلم .المرجع السابق.

[3] - معجم الأدباء والعلماء المعاصرين من 1798 إلى 2009 . الدار الوطنية للكتاب ، درارية ، الجزائر العاصمة . الطبعة حسب الإيداع القانوني 2009م . ص: 150 .

لعل هذه الأخطاء الواردة في هذه الكتب التي تجمع المعلومات المدونة سابقا دون تمحيص أو غربلة أو تدقيق ، وغيرها كثير هي التي آثارت وتثير حفيظة الأميرة بديعة باستمرار .

وفي سؤال موجّه للأميرة بديعة " إذا من المسؤول عن تبني هذه المغالطات برأيك؟ أجابت : " المسؤول هم لجان التصحيح، فقد تأكدت بعد ربع قرن من البحث أن في الجزائر مدرسة تقول "الاستسلام شيء جيد، بل وعلينا أن نستسلم، لأن عدونا أقوى منا"، بل وتبدي ذات المدرسة إعجابا بالعدو الذي أصبح صديقا، وفرنسا هي التي حضرت للجزائر والشعب الجزائري، وهي القوية والاستسلام لها فخر. وهذا للأسف ما قرأته في عدة كتب تناولت حياة الأمير على غرار يحيى بوعزيز." [1] والأميرة بديعة تشير بالضبط إلى ردّها العلمي وتعليقها على خمس وعشرين فقرة وردت في كتاب د/ يحيى بوعزيز (الأمير عبد القادر ، سيرته الذاتية وجهاده)

ومن نماذج الأخطاء التي وقع فيها د/ يحيى بوعزيز ، وكتبه تدرّس للطلبة قوله : " فتشاور الأمير مع رفاقه بعد أن سدّت في وجوههم كل الطرق ، واتفقوا على تسليم أنفسهم للفرنسيين أعدائهم بدلا من المغاربة "[2] ، تردّ الأميرة معلّقة على هذه الجملة : " هذه الفقرة تحتاج إلى تعليق ، لأن الدكتور يتكلم عن الأمير وكأنه يتكلم عن تشي غيفارا في إحدى غابات بوليفيا ، أولا : تسليم النفس ، والأدلة عديدة على عدم تفكير الأمير والمجاهدين في تلك اللحظات بهذا الحل المهين لدينهم ودنياهم ، منها قول الأمير نفسه (لا أرى إلا التسليم لقضاء الله والرضا به ...الخ) بم يقلم التسليم إلى الفرنسيين ، وقوله هذا موثّق في أكثر من جهة ، وكلمته هذه مدونة في كتاب (تحفة الزائر) صفحة 323 من طبعة الإسكندرية ، وقوله أيضا في نفس الكلمة المنية ولا الدنية ، وهي موثقة أيضا "[3] ، وتستطرد الأميرة في تفنيد وتكذيب ودحض كل الأخطاء والشبهات الواردة في كتاب د/ يحيى بوعزيز .

---

[1] - بديعة الجزائري حفيدة الأمير عبد القادر في حوار شامل مع الشروق .الأمير هاجر بعد أن تآمر عليه جزائريون .. ولم يستسلم .المرجع السابق.

[2] - الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري سيرته الذاتية وجهاده : د/ يحيى بوعزيز . الأعمال التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز . عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، طبعة خاصة 2009م . ج22 . ص: 190 .

[3] - وما بدلوا تبديلا : الأميرة بديعة الحسني الجزائري . المصدر السابق . ص: 219 .

وهنا يجب التنويه ببعض العلماء الكبار الذين ترجموا للأمير من الذين لم يقعوا تحت تأثير النقل عن الغير دون غربلة ، ومن بينهم العلامة أبو القاسم محمد الحفناوي رحمه الله ، فيمكن أن نقرأ في ترجمته للأمير هذا النص الخالد : " وظهرت منه شجاعة خارقة للعادة ، تحدّث بها القاصي والداني ، ودونها اصحاب التواريخ ، وكان يتقدم الجيش بنفسه ولا يبالي ، ولما رأى ان الثبات لا سبيل إليه جنح إلى السلم ، وفاوض أعيان من كانوا معه في أن يستأمن دولة فرنسا لنفسه واهله ومن يتبعه من قومه على أن يحملوه على الإسكندرية أو عكا من أرض الشام ، فوافقوه على ذلك ..."[1]

وليتأمل المتلقي بين ما يكتبه هذا العالم المدقق ، وما يكتبه الآخرون ، دون تمحيص مع خطورة كلمة (الاستسلام) ودلالتها الدونية الخطيرة ، وبين عملية الاستئمان ، والمصطلح القرآني الجنوح للسلم ، من منطق القوة ، لا من منطق الضعف والهوان .

وفي مقام آخر أكدت الأميرة أن الأمير لم يستسلم " ولم يفكر في ذلك أبدا، بل إنه طالب بالهجرة إلى عكا، من خلال اتفاقية عقدها مع الجنرال لامورسيار على أساس استئمان زمني، بسبب رفضه الخوض في الحرب التي شنها عليه السلطان المغربي، والتي هي بعيدة عن مبادئ مقاومته .وبدل أن تتوجه الباخرة التي تقله إلى عكا، وجد الأمير نفسه سجينا بتولون. وقالت الأميرة بديعة الحسني، حفيدة الأمير عبد القادر، أن الواجب الوطني يلزم على الدولة الجزائرية تصحيح ما كتب في المناهج المدرسية عن البطل المجاهد الأمير عبد القادر، بما يعيد له كرامته وحق جهاده، وذلك بتقديم المعلومات الصحيحة للتلاميذ الجزائريين، وإبعاد المشاعر الدونية عنهم، حين يقرؤون أن رمز كفاح بلادهم قد أنهى حياته النضالية بالاستسلام والخنوع للعدو.

وقالت الأميرة، وهي باحثة وكاتبة مختصة في التاريخ، إن الاستسلام هو قضية لم يفكر بها عبد القادر يوما، مضيفة إن الأمير عبد القادر طلب من الجنرال لامورسيار الهجرة إلى عكا، وعلى هذا الأساس وقّع معه اتفاقية سماها بـــاستئمان

[1] - تعريف الخلف برجال السلف : المرجع السابق .ج2 ، ص: 140 ، 141 .

زمني. وجاءت ضرورة هجرة الأمير للضغوط التي مورست عليه والحرب التي شنها السلطان المغربي عبد الرحمان بن هشام." [1] .

2) نفي نسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري :

تحاول الأميرة بدبعة الحسني ، تبرئة جدها الأمير من بعض الكتب التي تزعم أنها نسبت إليه زورا وبهتانا ، محاولة اتباع المنهج العلمي القائم على الوصف والاستقصاء ، والمقارنة ، بغية الوصول إلى كبد الصواب وتحاول تفنيد نسبة (المواقف) لجدها قائلة ما ملخصه : ' لم أتمكن من العثور على تاريخ ظهور هذا الكتاب (المواقف) في دمشق المخطوط منه أو المطبوع ، فالنسخة المخطوطة والتي عثرت عليها في قسم المخطوطات النادرة في مكتبة الأسد والتي جاءت تحت رقم 9263 تاريخ كتابتها كان عام 1307 هجرية وبخط فارسي ، ولا يوجد ذكر للمكان الذي خطت فيه ولا اسم من كتبها ، وكذلك جاءت هذه الأمور في بطاقة التصنيف تحت وصف مجهول (الكاتب مجهول ، والمكان مجهول) ، وتاريخ كتابتها يؤكد أنها خطّت بعد وفاة الأمير عبد القادر بسبع سنوات وربما في مصر ، إذ لا يوجد ما يشير على أنها كتبت في دمشق . والثالنية التي جاءت تحت رقم 9266 ، كل ما حولها مجهول حتى التاريخ ، وهي بخط نسخي جميل "[2] أما النسخة المطبوعة في مصر والتي وجدتها في مكتبة الأسد تحت رقم 1974/2522م ، وهي من ثلاثة أجزاء ، وتلاحظ الأميرة بديعة على النسخة المطبوعة في مصر أنه " ليس الأمير عبد القادر من أوصى بطباعته ، ولا أحد من عائلته ، ولم يشارك أحد منهم في أي أمر يتعلق بهذا الكتاب لا من قريب ولا من بعيد ، وطبع كما نشاهد بعد وفاة الأمير بثمانية وعشرين عاما ، ولو كان الأمير هو مؤلفه لماذا لم يطبعه في حياته ليضمن عدم تحريفه . والأهم من ذلك أنه لا يوجد أي وثيقة بخط الأمير يقول بها أنه ألف كتابا اسمه المواقف[3] ".

---

[1] - الأمير عبد القادر الجزائري تصحح صورته : الأميرة بديعة الجزائري . موقع سيدتي . www.sedty.com تاريخ الزيارة : 2014/6/29 سا : 9:01 .

[2] - الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف , دار المعرفة ، باب الوادي ، الجزائر ، 2008 حسب الإيداع القانوني . ص: 149 .

[3] - الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف . المرجع السابق. ص: 149 .

تقدم الأميرة بديعة تساؤلات حول بعض النسخ المخطوطة المكتوبة بخط بعض الفضلاء ومنهم السيد (فراج بخيت السيد) والشيخ عبد الرزاق البيطار ، فتقول في هذا الصدد : " من المعروف منذ أقدم العصور أن الناقل أو الناسخ لا بد له من ذكر اسم المؤلف وتاريخ تأليفه المدون على الكتاب ، فكيف عرف الإمام الفقير إلى ربه فراج بخيت أن عبد القادر الجزائري صاحب هذه الأفكار التي خطها بعد وفاة الأمير عبد القادر الجزائري بسبع سنوات ؟ ومن قال أنها لعبد القادر الجزائري ؟ وهل كانت بخط الأمير أم غيره ؟ وهل هو من قسّمها إلى مواقف (فالنسخة المخطوطة تحت رقم 9263 غير مقسمة إلى مواقف) وهبي بخط نسخي جميل ، فمن هو صاحب هذا الخط ؟ " [1] .

والأميرة بديعة دؤوبة في سعيها لأجل إبقاء الصورة البطولية لجدها الأمير ، نافية عنه أية صلة بكتاب المواقف ، مستغلة المنابر الإعلامية ، والتأليف في هذا الإطار لتمرير أطروحتها الداحضة للقناعة المتأصلة لدى عموم القرّاء بفعل عوامل عدّة تراكمت عبر السنين .

جاء في مقال للكاتبة سلوى صالح منشور الكترونيا في جريدة البناء ما يلي : " تسعى الأميرة بديعة الحسني الجزائري في كتابها الجديد «براءة الأمير عبد القادر من كتاب المواقف وكتاب ذكرى العاقل» إلى إظهار الحقيقة وتبرئة جدها المناضل الكبير مما نسب إليه زوراً، ومن التشويه الذي أصاب مؤلفاته، إذ نسبوا اليه أشعاراً لم ينظمها وكتباً لم يؤلفها وألبسوه ثوباً ليس ثوبه.والكتاب نتيجة جهود المؤلفة بحثاً وتدقيقاً للحصول على معلومات موثقة وأدلة دامغة تدحض محاولات تشويه فكر الأمير عبد القادر الجزائري، فكان لا بد من اطلاع الناس على المعلومات التي أصبحت بحوزتها واعتبرتها أمانة في عنقها، كونها مواطنة عربية جزائرية وإن كانت تقيم في دمشق مثل جدها المجاهد. وتقدم الأميرة بديعة حصيلة معلوماتها إلى كل من سمع بكتاب «المواقف» الذي يضم أفكاراً ليست للأمير إنما لبعض المشايخ الذين أرادوا تعظيم الأمير في حياة ابنه محمد باشا فجمعوا ونقلوا أقوالاً لغيره ممن

[1] - الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف . المرجع السابق. ص: 150.

اعتبروهم مماثلين للأمير، وضموها إلى أجوبة كان يقدمها إلى السائلين ظناً منهم أنهم يفعلون خيرا مع الأمير الذي أحبوه وأرادوا تكريمه بكتاب ضخم بعد وفاته.

خلال عملية البحث، عثرت الكاتبة على نسخة مخطوطة من كتاب «المواقف» في قسم المخطوطات النادرة في مكتبة الأسد في دمشق، بخط فارسي يرجع تاريخ كتابتها إلى عام 1307 هجرية، أي بعد سبع سنوات من وفاة الأمير عبد القادر الذي كان خطه مغربياً. كما توجد نسخة أخرى كتبت بخط نسخي جميل، لكن تاريخ كتابتها وكاتبها مجهولان ولا يوجد ما يشير إلى أنها كتبت في دمشق، أي لا يوجد مخطوط بخط الأمير عبد القادر، ومع ذلك اعتبر كتاب المواقف في الجزائر إنتاجا فكريا للأمير عبد القادر، إذ قدّم إلى المكتبات هناك بشكل مخطوط على أنه بخط الأمير عبد القادر." [1].

3) استناد الأميرة بديعة لأسلوب الأمير ولجنة من المحلفين الخبرء في معرفة الخط:

تستند الأميرة بديعة في نفي نسبة المواقف إلى جدها الأمير ، على الناحية الأسلوبية ، ذلك لأن الأسلوب هو الرجل كما يقول علماء الأسلوب ، وعند مقارنة بعض الأشعار وأسلوب كتابة المواقف لظهر البون شاسعا والفرق واسعا ، بين أسلوب الأمير ، الذي يتجلى فيه شخصية الرجل بكل أبعادها النفسية والبطولية والإيمانية وخصائصها العربية والإسلامية ، تقول الأميرة بديعة : " فإذا جعلنا دائرة تفكيرنا أوسع ونظرنا بالقياس إلى صفحات عديدة في هذا الكتاب ومقارنة بعضها ببعض ، لوجدنا صفحات نيّرة وأفكارا واضحة مفيدة ، ثم ينحدر الكلام بأسلوب مختلف اختلط فيه النور بالظلام كلوحة رسام مبتدئ غير منسجمة الألوان والأشكال.

وكلما أوغل القارئ قدما في القراءة في هذه الصفحات لاحظ خيوطا بيضاء اختلطت بخيوط سوداء منفردة دخيلة شاذة وكأنها اقتحمت المواد بأسلوب مختلف عن الأسلوب الآخر أو أسلوب الأمير الذي عرف بمتانة لغته العربية وبلاغته من خلال

---

[1] -مضامينهما خطيرة وأسلوبهما اللغويّ مختلف عمّا عُرف به الأمير حفيدة عبد القادر الجزائري تبرّئه من كتابين نسبا إليه زوراً : سلوى صالح . جريدة البناء (يومية سياسية قومية اجتماعية) العدد:1669 تاريخ:2014/12/24 . تاريخ الزيارة :12/24م2014 ، الساعة 12:45 www.al-binaa.com

رسائله والحكم التي كان يكتبها بخطه لزائريه ، وهذا مما جعلني ألجأ إلى خبراء الخطوط والطرق العلمية للكشف عن الحقيقة .... بخط يد الخبير الدولي والمعتمد من القصر العدلي بدمشق وهو الأستاذ هشام غراوي ، والخبير المعتمد في الجامعة السورية أحمد الأنباري ، والخبير بالخطوط اللواء عبد المنعم ياسين المعتمد من قبل دوائر الأمن العام في القصر العدلي في سوريا "[1]. جاء في مقال للكاتبة سلوى صالح منشور الكترونيا في جريدة البناء : " يقول الخبير المحلف هشام الغراوي، من وزارة العدل السورية، عام 1999 في تقرير فني بخط يده نشره الكتاب: «لا يجوز نسبة الوثيقة التي نشرتها مجلة «المسالك» الجزائرية إلى الأمير عبد القادر الجزائري إذ تبين بالخبرة الفنية أنها ليست بخطه ولا يجوز نسبها إليه لما فيها من كفر يستحيل صدوره عن عالم جليل مثله، ولا يجوز السكوت عنها وإبقاؤها في تراثناالفكري» .خصصت الأميرة بديعة الفصل الثالث من الكتاب (براءة الأمير عبد القادر من كتاب المواقف وكتاب ذكرى العاقل)لعرض نماذج من مضامين كتاب المواقف والرد عليها بعد دراستها مشيرة إلى أن هدفها ليس تبرئة الأمير عبد القادر فحسب، إنما الدفاع عن الدين الإسلامي الحنيف والقرآن الكريم والشريعة السمحاء التي يشكك فيها كتاب المواقف. كما خصصت جزءا للتعريف بشخصية الأمير المجاهد الذي أصبح على مر الأيام شخصية عالمية، إلى كونه رائد المقاومة الجزائرية إذ نظم جيشاً ووضع له قوانين ووقف في وجه دولة كبرى بحجم فرنسا سبعة عشر عاماً لم يستسلم خلالها بيد أنه انتصر في المعارك كلّها التي قادها بنفسه، ولكن فرنسا غدرت به، اختطفته وسجنته خمس سنوات، ودخل دمشق كأحد الفاتحين، على ما ذكر المؤرخون.

في حديثها عن سيرة الأمير عبد القادر وجهاده ضد المستعمر تتطرق الكاتبة إلى كلمة الجهاد التي تعني المقاومة ضد الأعداء، وذاك ما يرعب الغرب ويقلقه، مشيرة إلى ما قاله دِكْ تشيني نائب الرئيس الأميركي عام 2002 من أن الولايات المتحدة تخطط للقضاء على استراتيجية الجهاد لدى المسلمين. ويا للأسف، استطاعت بقيادة الصهيونية العالمية ابتكار طريقة شيطانية خبيثة لقلب مفاهيم الجهاد وجعلها عمليات

[1] - الأمير عبد القادر حقائق ووثائق . المصدر السابق . ص: 154 .

إجرامية بشعة تثير الاشمئزاز فجندوا المرتزقة وأرسلوهم إلى سورية التي كانت هدفهم هذه المرة تحت ما يسمى «الجهاد» لأنها دولة مقاومة ترفض الاعتراف بـــ»إسرائيل»

كما تتطرق حفيدة المجاهد الكبير إلى كتاب آخر عنوانه «ذكرى العاقل وتنبيه الغافل» كتب عليه اسم الأمير عبد القادر على أنه ألفه في دمشق عام 1853 علما أنه كان في ذلك الوقت في بروسة في تركيا. إضافة إلى أن الأفكار التي تضمنها الكتاب ليست أفكار الأمير عبد القادر، كما أن الدكتور ممدوح حقي الذي حقق الكتاب في القرن العشرين لم يستند إلى المخطوطات في تحقيقه[1].

4) اعتمادها على ضوابط المنهج التاريخي في نفي نسبة المواقف للأمير:

تستند الأميرة بديعة إلى ضوابط المنهج التاريخي لتفنيد نسبة كتاب المواقف لجدها الأمير عبد القادر ، لكون بعض المعلومات الواردة فيه تتصادم مع الحقائق التاريخية المعروفة في سيرة الأمير ، والتي ذكرها شارل هنري شرشل ، تقول الأميرة " ومما ذُكر في إحدى الهوامش أن الأمير قال أنه استظهر القرآن بطريق المتلقي الروحاني ، وانه تلقاه من غير حرف ولا صوت ولا جهة ، والمعروف والمؤكد أنه كان قد استظهر القرآن وهو في سن مبكرة في مدرسة القيطنة وجرى له احتفال ولقّب بـــــ (الحافظ) كما ذكر الكاتب البريطاني شرشل وغيره مما يناقض هذه المعلومة والمهم أيضا لمن قال الأمير هذه المعلومات ؟ ومن سمعها منه وما هو اسمه ؟ وفي أي مناسبة ؟ أو أي مكان ؟ متى ؟ وأين ؟ ولمن ؟ "[2] .

5) نقد الأميرة بديعة لبعض ما ورد في بعض المؤلفات التاريخية حول جدها :

ففي محاورة مع جريدة الشروق ، كشفت الأميرة بديعة ، أنها ألفت كتاب (وما بدلوا تبديلا) ردا على بعض الأخطاء ، والمغالطات الواردة في كتاب المرحوم د/ يحيى بوعزيز حول الأمير عبد القادر .

---

[1] -مضامينهما خطيرة وأسلوبهما اللغويّ مختلف عمّا عُرف به الأمير حفيدة عبد القادر الجزائري تبرّئه من كتابين نسبا إليه زوراً : سلوى صالح . جريدة البناء (يومية سياسية قومية اجتماعية) العدد:1669 تاريخ:2014/12/24 . تاريخ الزيارة :12/24م2014 ، الساعة 12:45 www.al-binaa.com

[2] - الأمير عبد القادر حقائق ووثائق . المصدر السابق . ص: 154 ، 155 .

توجّه الأميرة بديعة الحسني سهام النقد لكتاب (حياة الأمير) للكاتب الإنجليزي (هنري تشرشل) والذي لاحظت فيه جملة من الأكاذيب والخرافات والأباطيل ، التي ألصقت بالأمير زورا وبهتانا ، وللأسف فعلت فعلتها في مختلف الكتابات العربية والغربية التي تستند على هذا المرجع المليء بالسموم ، وقد قامت بجهد كبير في دحض أكاذيب وأراجيف الكاتب (هنري تشرشل) في كتابها القيم (ردود وتعليقات على كتاب حياة الأمير عبد القادر الجزائري) .

تورد الأميرة بديعة النص بالكامل، لتتبعه بالنقد العلمي الرصين لإزهاق باطل الكاتب البريطاني ونصه كما في ترجمة د/ أبو القاسم سعد الله : " "لم يكن لعبد القادر الآن ما يخشاه أو يؤخره، إذ في حوزته موافقة مكتوبة، وهي تتماشى تماماً مع شروطه الخاصة... وفي السادسة مساءً، وصل الركب جامع الغزوات ، حيث مقر قيادة الدوق[1] ... وبعد دقائق توجّه عبد القادر مصحوباً بالجنرال دي لا مورسيير والجنرال كافينياك والعقيد بوفور Beaufortللمثول أمام سموه ، وبعد دقيقة صمت تفوه عبد القادر بالكلمات التالية، "لقد كنت أرغب أن أفعل ما أفعله اليوم منذ مدة ، لكني انتظرت الساعة التي شاءها الله . إن الجنرال قد أعطاني وعداً، وإني اعتمد عيه تمام الاعتماد ، وإني لست أخشى أن يخلفه ابن ملك عظيم مثل ملك الفرنسيين".... وفي صباح اليوم التالي عقد الدوق استعراضاً[2]، ووقف عبد القادر الذي كان ممتطياً جواداً عربياً أصيلاً، ومحاطاً بقواده ينتظر عودة الدوق من الميدان، وعند اقتراب سموّه ترجّل عبد القادر وتقدّم إلى جانبه وقال: (إنني أقدّم إليك هذا الجواد الذي هو آخر جواد امتطيته، لقد كان جوادي المفضّل، ولكن يجب أن نفترق الآن ، إنه عنوان اعترافي، وإني أرجو أن يحملك دائماً إلى النجاة والسعادة، فرد عليه الدوق: (إني أقبله

---

[1] -(ملاحظة: في هذا النص كتب مقرّ قيادة الدوق دومال، ولم يقل ميناء الغزوات، لتضليل القارئ أن الأمير ذهب إلى مقر القيادة وليس إلى إلى الميناء حيث توجد الباخرة التي ستنقله إلى المشرق، إلى عكا في فلسطين، وإنما قال قيادة الدوق).
ملاحظات على مذكرات الأمير عبد القادر : الأميرة بديعة الحسني . .http://www.djelfa' تاريخ الزيارة : 2014/12/26 الساعة : 1 : 58

[2] -(وهنا تظهر أحقاد تشرشل) بهذه العبارة تسجل الأميرة بديعة نقدها على كتاب حياة الأمير . المرجع نفسه.

باعتباره إكراماً لفرنسا البلد الذي ستمتد حمايته إليك منذ الآن، وعلامة على أن الماضي قد نسي"[1] .

ترد الأميرة بديعة الحسني على أكاذيب الكاتب هنري تشرشل بما نصه: " وهنا جعل تشرشل الأمير وكأنه ثائر فرنسي، تمرّد على حكومته ثم تاب فألقى سلاحه ووقف أمام ممثل دولته نادماً معترفاً بذنبه، يقدّم أفضل جواد عنده إكراماً لفرنسا، بلاده التي ينتمي إليها، ويتمنى لقائد جيشها النصر والحياة السعيدة، يقدم جواده ليحمل هذا القائد إلى النجاة (النجاة ممن؟؟)، الجواب :من أبناء الشعب الجزائري الرافضون للاحتلال الذي يعتدي عليهم هذا الجنرال الإفرنسي بأخطر الأسلحة، والذي ما زال يعتدي عليهم باحتلال بلادهم في تلك اللحظة. جعل تشرشل الأمير يتمنى النصر لأعدائه محتلي بلاده، وكأنه انقلب بين ساعة وأخرى من مجاهد عربي جزائري إلى جندي إفرنسي متمرد تائب مستسلم بذلّ . وتناسى تشرشل أن عبد القادر، هذا الرجل الذي جعله يقدّم جواده ويتفوه بهذا الكلام، هو من زرع بذور المقاومة في نفوس شعبه، وقاد هذه المقاومة أكثر من سبعة عشر عاماً وانتصر على أكبر قادتهم وأذلّهم بانتصاراته عليهم التي لا تعدّ، والآن هو يخرج من الجزائر لحقن دماء أبناء شعبين شقيقين، الجزائر والمغرب، دماء أخوة في الدين والعروبة والجوار، لأنه المقصود باتفاقية طنجة بين بيجو والسلطان، وهو المقصود بهذه الحرب، فاضطر للانسحاب من زعامة المقاومة بالمفهوم العسكري، والهجرة بالمفهوم الشرعي الإسلامي ليعود أكثر قوة بعد فك ذلك الحصار من غير إسالة دماء الطرفين المسلمين، كما قال في أول الصفحة عقد اتفاقاً، وهو يحمل في جيبه وثيقة رسمية لا يخشى مكروهاً، ولكن تشرشل لم يخطر له أن الأمير سيخرج وهو مطمئن أن المقاومة لن تتوقف لأنه ترك رجالاً مؤمنين من خلفائه سيتابعون المسيرة لإنجاح وانتصار هذا المشروع، مشروع

[1] - حياة الأمير عبد القادر : شارلز هنري تشرشل . ترجمة وتقديم وتعليق : أبو القاسم سعد الله . عالم المعرفة ، الجزائر ، طبعة خاصة 2009م . ص: 317 ، 318 .

التحرير، مشروع الشعب الجزائري لتحرير الأرض والإنسان والحفاظ على راية الإسلام مرفوعة" [1].

وجهة نظر الأميرة بديعة الحسنى الجزائري في ميزان النقد :

حاول بعض الدارسين مؤخرا ، وبعد عمل كبير توثيقي وعلمي صارم أن ينتقدوا منهجية الأميرة بديعة التي تزعم أن جدها لم يؤلف كتاب المواقف ومن هؤلاء د/ بكري علاء الدين[2]الذي حقّق وقدّم كتاب المواقف للأمير عبد القادر ، وفنّد مزاعم الأميرة ، في محاولة منه لإثبات صحة نسبة الكتاب للأمير ، وذلك عبر نقاط مركزة حاول من خلالها نسف نظرية الأميرة بديعة ، وبالتالي تحطيم كل ما بني عليها من أحكام رأى د/ بكري علاء الدين أنها مجانبة للصواب ، وفيها جناية كبرى على تراث الأمير ، الذي هو ملك لكل محبي الثقافة الإنسانية العميقة ، وتركز نقده في الأمور التالية :

1) إن استناد الأميرة بديعة إلى مجلة مسالك التي تصدر عن مؤسسة الأمير عبد القادر في الجزائر سنة 1998 وقد نشر فيها صورة عن الموقف 180 المأخوذ من مخطوط المواقف المحفوظ في المكتبة الوطنية في العاصمة الجزائر ، واكتشافها بأن ذلك الخط هو خط مشرقي ، استنادا إلى الخبراء المحلفين في الخط ، ومن ثم تأسيسها لفرضية عدم نسبة كتاب المواقف للأمير ، هو قياس مغالطي ، ذلك لأنه للوهلة الأولى يستطيع أي باحث أن يكتشف بأن الخط الذي كتب به الموقف هو خط مشرقي لناسخ متمرس ، وذلك لأن الأمير كان يكتب بالخط المغربي .

---

[1] - ملاحظات على مذكرات الأمير عبد القادر : الأميرة بديعة الحسني . 'http://www.djelfa. تاريخ الزيارة : 2014/12/26 الساعة : 1 : 58

[2] - يذكر أن الدكتور بكري علاء الدين يحمل إجازة في الآداب وحاصل على دكتوراه الحلقة الثالثة من جامعة باريس الرابعة إضافة إلى دكتوراه الدولة في الفكر العربي الإسلامي من جامعة السوربون كما شغل العديد من المناصب منها أستاذ في المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية عام 2006 ومدرس في كلية الإعلام وقسم الفلسفة بجامعة دمشق كما كلف بالتدريس في قسم الأدب العربي بجامعة باريس الثامنة. الأمير عبد القادر الجزائري بطلا استثنائيا نال احترام العدو وتقدير الصديق : الدكتور بكري علاء الدين . Sana 29/10/2014 الوكالة العربية السورية للأنباء . http://sana.sy

2) إن دراسة الأميرة بديعة لمخطوط " حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر" للشيخ عبد الرزاق البيطار[1]، وزعمها أنها لم تجد فيه اسم الأمير عبد القادر ولا ذكر لكتاب المواقف ، فهو أمر غريب للغاية فمخطوط حلية البشر في مكتبة الأسد الوطنية ، والكتاب المطبوع ، يؤكدان عدم صواب ما ذهبت إليه الأميرة بديعة ، ويمكن للقارئ أن يعود للنسخة المطبوعة ليجد التطابق بينها وبين المخطوطة ، قال العلامة عبد الرزاق البيطار في حلية البشر ما نصه "

وكان لي بحمد الله منه الحظ الأوفى والالتفات الأجدى الأجدر، والعناية العالية والبشاشة السامية، وحضرت عليه مع من حضر كتاب فتوحات الشيخ الأكبر، ورسالة عقلة المستوفز له، وكتاب المواقف للمترجم المرقوم، وهو كتاب كبير في الواردات التي وردت عليه ونسبت إليه. وكنا لا يرد علينا إشكال من آية أو حديث أو غير ذلك إلا وأجاب عنه بأحسن جواب، من فتح الملك الوهاب، وكان في كل مدة قليلة يدعونا إلى بعض محلاته خارج البلد، فكان يدخل علينا كل سرور ويفرغ علينا كل حبور، وفي كل سنة في أيام الصيف كان يخرج إلى قصره في أرض دمر، فكان يأمرني بالخروج معه، ولا زلت ملازماً لها إلى أن توفي." [2]

3) تفنيد مهزلة التزوير المنسوبة إلى ناسخ المواقف ومصحح مطبعة الشباب في القاهرة والتي تمت فيها طباعة المواقف لأول مرة سنة 1344هـ/1926م . وكبش الفداء هذا اسمه فراج بخيت السيد الذي لا تتوافر معلومات حوله سوى عيشه في بور سعيد ، ويتساءل المحقق د/ بكري علاء الدين قائلا : " ولا ندري كيف يمكن أن

---

[1] - البيطار (1253 – 1335 هـ = 1837 – 1916 م) عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي: عالم بالدين، ضليع في الأدب والتاريخ، عارف بالموسيقى.مولده ووفاته في دمشق. حفظ القرآن في صباه، وتمهر في علومه. وكان حسن الصوت، وله نظم. واشتغل بالأدب مدة، واقتصر في آخر أمره على علمي الكتاب والسنة. وكان من دعاة الإصلاح في الإسلام، سلفي العقيدة، وقورا، حسن المفاكهة، طيب النفس. ولقي في سبيل ذلك عنتا من الجامدين. من كتبه (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر – ط) ترجم به معاصريه، و(الرحلة) اشتمل على عدة رحلات إحداها القدسية والثانية البعلية. وله بضع عشرة رسالة في الأدب والتاريخ لم يطبع منها شيء . نقلا عن : الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) . دار العلم للملايين .الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م.ج3 ، ص: 351 .

[2] - حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر : عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (المتوفى: 1335هـ) .حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار – من أعضاء مجمع اللغة العربية . دار صادر، بيروت .الطبعة: الثانية، 1413 هـ – 1993 م.ص: 904 .

ننسب كتابا من مثل حجم وقيمة كتاب المواقف إلى شخص مجهول ، مع أن مؤلفه أشهر من نار على علم ، بل أشهر رجالات القرن التاسع عشر في العالم الإسلامي على الإطلاق ؟!"[1] .

4) فنّد الباحث د/ بكري علاء الدين ما صرّحت به الأميرة بديعة لأنها " درست مخطوطات المواقف المحفوظة في المكتبة الوطنية بدمشق ، وتوصلت إلى استنتاج مفاده أنه لا توجد مخطوطات للمواقف قريبة العهد من وفاة الأمير ، وإنما نسخت كلها بعد وفاته بفترة طويلة . ذلك أن الأميرة كانت قد اكتفت في دراستها للمخطوطات بالنسخ التي تتوافق مع أفكارها المسبقة " ويحاول الباحث دحض شبهة الأميرة قائلا ما نصه " وتشير دراستنا لمخطوطات المكتبة الوطنية بدمشق وبقية المكتبات الخاصة والعامة في العالم إلى نقيض ما توصلت إليه الأميرة من نتائج . فثمة على القل ثلاثة مخطوطات للمواقف تم نسخها في حياة الأمير : الأول هو مخطوط المكتبة الوطنية بالعاصمة الجزائر ، فقد توقف التاسخ عن الكتابة حين توفي الأمير . واثنان منهما يحملان تصحيحات عديدة بخط الأمير نفسه ، وثمة مخطوط رابع هو : الجزء الثاني وبداية الجزء الثالث فقط من مخطوط المواقف حصلنا على صورة مرقمنة عنه أرسلها لنا الشيخ خالد بنتونس ، وهي موجودة في مكتبة الطريقة العلاوية بباريس ، وهو منسوخ قبل وفاة الأمير بأكثر من أربع سنوات ..." [2] .

5) يفنّد الباحث د/ بكري علاء الدين ما أوحته للقارئ " بأنها تعرف الأمير عبد القادر أكثر من ابنه محمد وذلك بفضل ما سمعته من جدتها الأميرة زينب بنت الأمير عبد القادر ، ومما سمعته كذلك من أحاديث جدها حول حياة الأمير عبد القادر ، فصارت بسبب هذه الأحاديث وكأنها من معاصريه . تقول الأميرة بديعة في كتابها دراسة لكتاب تحفة الزائر ومآثر الأمير عبد القادر " السبب الذي جعلني على يقين من أن الأمير لم يؤلف كتاب المواقف هو معرفتي به ، رحمه الله ، من خلال أحاديث أهلي عنه منذ نشأتي : أهلي الذين عاصروه ..." [3].

---

[1] - المواقف , تحقيق وتقديم د/ بكري علاء الدين . المصدر السابق . ج1 ، ص: 49 ، 50 .

[2] - المواقف. ج1 ، ص: 52.

[3] - المواقف. ج1 ، ص: 50

6) ولكن الناقد المحقق لا يستسيغ هذه المقولة كونها مجانبة لواقع الحال ، فيقول " لنسلّم جدلا بأن الأميرة بديعة قد توصلت من خلال مرويات جدها وجدّتها إلى معرفة الأمير عبد القادر أكثر من ابنه البكر محمد الذي عاصره وعاش معه كظلّه ، وأرّخ له وأثبت أنّ كتاب المواقف من تأليفه في أكثر من موضع . ولكنها مع ذلك لن تستطيع أقناعنا مهما بذلت من جهد بأن شهادتها أقوى من شهادة الشيوخ الكبار الذين عاصروا الأمير ، بحسب القول المشهور : " ليس خُبرٌ كعيان " من وزن الشيخ عبد الرزاق البيطار ومحمد بن محمد الخاني وابنه عبد المجيد وجمال الدين القاسمي والأمير أحمد شقيق الأمير عبد القادر . لقد كتب الأمير أحمد بناء على طلب الشيخ القاسمي تاريخا لأخيه عنوانه " نخبة ما تسر به النواظر ، وأبهج ما يسطر في الدفاتر ، في بيان تولية ذي الكمال الظاهر ، والنسب الطاهر ، سعادة الأمير عبد القادر " ... وقد عدّد المؤلف الأمير أحمد مؤلفات الأمير عبد القادر قائلا : " وله قدّس الله سرّه تآليف مفيدة ، أشهرها المواقف في التصوف ، وتعليق على حاشية لأحد أجداده في علم الكلام ، والمقراض الحاد ، وذكرى العاقل وتنبيه الغافل ، ومن اطلع على هذه المؤلفات عرف قدر فضله وسعة علمه "[1] وقد بين السيد المحقق تواتر أنباء كتاب المواقف وتداوله بين كبار العلماء وخاصة جلساء ومحبي الأمير عبد القادر ، مما يستحيل تواطؤهم على نسبة هذا الكتاب الجليل القدر للأمير عبد القادر طيّب الله ثراه وجعل الجنّة مستقرّه ومثواه .

7) قدّم الباحث المحقق د/ بكري علاء الدين وصفا لمخطوطات المواقف في العالم ، مثبتا من خلال ذلك أن الأمير عبد القادر هو وحده مؤلف المواقف ، قائلا : " إن لكتاب المواقف حوالي العشرين مخطوطة موزعة بين الدول العربية وأوروبا . وأشهر هذه المخطوطات اثنان منها موجودان في العاصمة الجزائرية " [2] .

- وفي محاولة من الباحث د/ بكري علاء الدين ، لتفنيد دعوى الأميرة بديعة ، ومن ثم إثبات نسبة المواقف للأمير عبد القادر ، يقوم بعرض مخطوطات المواقف في العالم .

---

[1] - المواقف. ج1 ، ص: 50 ، 51.

[2] - المواقف. ج1 ، ص: 52.

- أما الباحث خلدون الحسني ففي مقال له على الشابكة يحمل عنوان " الأمير عبد القادر والفتوحات المكية بين الحقائق ومغالطات عبد الباقي مفتاح" فيرد على هذا الأخير فيما زعمه من معطيات تتعلّق بالأمير عبد القادر ، حيث يأتي الباحث خلدون الحسني على نسفها واحدة فواحدة ، ومثنيا على جهود الأميرة بديعة في الوقت نفسه ، في الذود عن شخصية جدّها من مزاعم النتقوّلين دون بيّنة أو برهان ، كما يشرح ذلك في مقاله ، ونحن لا يمكن ان ناتي عليه برمّته ، فهو متوفر في الشابكة ، ولكن نذكر منه ما يتوافق مع منهجيتنا في كيفية تلقي النصوص المتعلقّة بنسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر قدّس الله سرّه ، قال الباحث خلدون الحسني : "ومن مدّة والأستاذ مفتاح يحاضر ويكتب في موضوع إثبات كتاب المواقف للأمير ، إلى أن أعاد نشر كتاب المواقف!! سنة 2007م ، وبعد ذلك صعَّد لهجة خطابه . والمقال الذي نتعرّض إليه هنا، كان قد ألقاه الأستاذ مفتاح في الملتقى الدولي حول رمزية مبايعة الأمير عبد القادر؛شباط/فيفري 2010م." ثم بدأ الأستاذ مفتاح مقاله قائلاً" :إنّ أهم تآليف الأمير عبد القادر وأكثرها انتشارًا وشهرة وترجمة وأعمقها أثرًا هو كتاب المواقف ."وهذا هو رأيه واستنتاجه ، ولكنْ في الباحثين والكتّاب من يخالفه هذا الرأي! والانتصارُ للرأي يكون بإثبات الحقائق وتدعيمها ، لا بتضخيم الأحداث أو عرضها بسياق يوهم بأن رأي الكاتب هو المتفق عليه ، وبخاصّة أننا اليوم نخاطب أجيالاً غابت عنها حقائق تاريخها وأخبار رجالاتها. نعم إنّ كثيرًا من الشيوخ الذين كانوا معاصرين للأمير أو في عصرٍ قريب من عصره، ذكروا أنّ "المواقف "للأمير، وأشادوا به ، وهذا لم يكن محلَّ خلاف ، ولكنهم لم يذكروا قط أنَّ الأمير كان متشرِّبًا بفكر الشيخ ابن عربي أو يدعو إليه ، أو أنه وارث مذهبه في القول بوحدة الوجود كما يزعم البعض اليوم!(ومنهم الأستاذ مفتاح"[1].

- وفي المقال نفسه يضيف الباحث خلدون الحسني زيادة على تفنيده تشرّب الأمير لفكر ابن عربي قائلا : " إن كتاب المواقف بحد ذاته لم يكن له وجود في المكتبات ، فقد طُبع أول مرّة سنة 1329هـ)أي بعد وفاة الأمير بـ 29 سنة (طبعة

[1] -الأمير عبد القادر والفتوحات المكية بين الحقائق ومغالطات عبد الباقي مفتاح: خلدون الحسني http://www.djelfa.info/jhvdo 2014/12/23 الساعة 12:30 ليلا

محدودة جدًّا، ووزع مجانيًا لبعض الجهات والأشخاص لا في المكتبات، وذلك في مطبعة الشباب بمصر وبإشراف ونفقة امرأة مصرية !!ودون إذنٍ من أحد ، وكان ذلك بعد وفاة أصحاب الأمير الشيوخ: محمد الطنطاوي؛ ومحمد الخاني؛ وعبد المجيد الخاني؛ ومحمد الطيب المبارك!!!، وهذا سبَّب إشكالاً في حينها، واعترضَ بعض علماء الشام وبعض رجال الأسرة على تلك الطبعة!، ثم أعادت دار اليقظة طبعه بعد قرابة ستين سنة من الزمان؛ سنة 1386هـ =1966م طبعةً محدودة أيضًا، ولكن هذه المرّة وتفاديًا للخطأ القديم، حصلت الدار على موافقة أحد أفراد الأسرة وهو الأمير سعيد بن علي بن الأمير عبد القادر!! ولكن استنكر فِعْلَهُ عددٌ من علماء الأسرة في حينها، ومنهم الأمير الشيخ عبد الرحمن الحسني الجزائري الذي كتبَ اعتراضَه بخطه على نسخة المواقف تلك .! وفي سنة 2007م صدرت آخر طبعة للكتاب في الجزائر أخرجها عبد الباقي مفتاح!!، ولكن دون إذن من أحد أيضًا!" [1] .

- وفي المقال نفسه يضيف الباحث خلدون الحسني أنه " لم يذكر أحدٌ أنّ الكتاب اعتمد للتدريس في المعاهد الدينية أو في الجامعات ، بل إنه لم يُدرَّس حتى في حلقات رجال التصوف (كما أخبرني عمي الشيخ عبد الرحمن الحسني رحمه الله، والشيخ تاج الدين الكتّاني حفظه الله وغيرهما .(وما كان يذكره العلماء والشيوخ عن عقيدة الأمير عبد القادر وفكره ومشربه ، كان مأخوذًا من حاله التي عرفوها وعاينوها ، أو من رسائله وأجوبته التي بين أيديهم ، ولم يرد عن أحدٍ من العلماء المعاصرين له من جميع أصقاع المعمورة ، أنه كان قائلاً بوحدة الوجود أو يدافع عنها ، أو أنه ينتحل مذهب الشيخ ابن عربي الفلسفي . لذلك لم يتصدَّ أحدٌ للحديث عن تفاصيل تأليف هذا الكتاب قديمًا وصحة نسبته من عدمها ، ولكن لمّا ظهر اليوم من يصف الأمير بهذه الأشياء ، إمَّا مُتَّهِمًا له (إن كان من المخالفين)، أو مادحًا له (إن كان من الموافقين) ، صار من المتعيّن توضيح هذه المسألة ومعالجتها" .[2]
- وفي ملحقات كتاب (وما بدلوا تبديلا) للأميرة بديعة الحسني ، أوردت للقراء رسالة لطيفة المبنى عظيمة المعنى ، تحمل عنوان : " إظهار المعارف في تبرئة

---

[1] -المرجع نفسه .

[2] -المرجع نفسه .

الأمير عبد القادر من كتاب المواقف) وهي من تأليف الباحث د/ محمد خلدون الجزائري ، فبعد المقدمة المهمة التي ذكرها في فظاعة وجسامة التزييف الذي بحق بتاريخ الإسلام الحقيقي وسيرة رجاله العظام ، ودور علماء الأمة المحققين في كشف الأباطيل ، ورد الأكاذيب والضلالات ، انتقل الباحث إلى تطهير تاريخ الأمير عبد القادر ، من الزيف الذي حاول إلصاقه المحتل الفرنسي بالأمير بغية ، حرمان الأجيال الصاعدة من النموذج البطولي والقائد المتشبّع بقيم دينه وعروبته وإسلامه ، ولأجل تشويه تاريخ الأمير المجيد عمدت فرنسا " إلى تشويه سيرته واختلاق الأكاذيب عليه فزعموا أنه سلّم نفسه لهم واستسلم في نهاية المطاف ، وزوَّروا عليه رسائل ومعاهدات سخيفة ومخزية وزعموا أنها بخط يده ، ثم اختلقوا قصّة انتسابه للجمعية الماسونية وزوَّروا عليه رسالة بهذا الخصوص ، وكل ذلك كي يسقط اعتبارُه عند الناس كرجل مخلص لأمته ، ولم يكتفوا بذلك ، بل أسرعوا فور وفاته لتزوير كتاب عليه ، وهو كتاب " المواقف في الوعظ والإرشاد "[1]

- ذكر السيد خلدون الحسني بعض الأمور التي تبيّن بطلان كل ما نسب للأمير من الأمور المنكرة :فمن هذه الأدلة : تقرير الخبرة الفنية الذي كتبه الأستاذ " هشام الغراوي" الخبير المحلّف بشؤون تاوثائق لدى وزارة العدل السورية من 1952 ـــــ 1979 والذي أثبت فيه أن المخطوطات الخاصّة بكتاب المواقف والتي كتب عليها إنها بخط يد الأمير هي ليست بخطه قطعا .ومنها: إن الأمير عبد القادر لم يذكر أنه ألف كتاب المواقف ولا غيره ، ولم يشر إلى ذلك لا في أشعاره ولا في رسائله ... "[2] وهناك مجموعة من البراهين ساقها الباحث في معرض عرضه للبراهين الكاشفة عن عدم صواب نسبة المواقف للأمير[3] .

- أشاد الباحث خلدون الحسني ، بجهود الأميرة بديعة الحسني ، في الذود عن شخصية الأمير عبد القادر ، وتحقيق نسبة المؤلفات إليه ، وذلك في معرض ردّه على الباحث عبد الباقي مفتاح ، وتفنيد بعض آرائه ، ودعواه قال الباحث الفاضل " وقد

---

[1] - وما بدلوا تبديلا . المصدر السابق . ص: 261 ، 262 .

[2] - وما بدلوا تبديلا . المصدر السابق . ص: 262 ، 263 .باختصار.

[3] - ينظر : وما بدلوا تبديلا . المصدر السابق . ص: 263 ، 264 .

تكلَّم بعض علماء أسرة الحسني الجزائري في هذه المسألة ولكن لم ينشر كلامهم أو يطبع، وأوّل من نشر وطبع في هذا الخصوص هي الأميرة بديعة بنت مصطفى الحسني حفظها الله ، وصحيحٌ أنّ الأميرة بديعة (1926م) ليست من العلماء المتخصصين في هذا الشأن ، إلاّ أنها ــ والحق يُقال ــ قد بذلت جهدًا طيبًا ، على مدى عقدين من الزمان ، في الدفاع عن الأمير عبد القادر، وفي رد التهم التي توجَّه إليه ، وبيّنَت الكثير من الأحداث والوقائع التي لم يقف عليها من سبقها من الكُتَّاب ، وكان من ضمن أعمالها الحديث عن كتاب المواقف، إلاّ أنها ــ والحق يُقال ــ قد ابتعدت كثيرًا عن الحقيقة حين نفت التصوف عن الأمير أو حين نفت حب الأمير لابن عربي، وانفعلت كثيرًا بالردود عليها، فجرَّها الأمر إلى مبالغات وأحكام جانبت الصواب فيها . وكان بوسع الأستاذ مفتاح أن يُعالج هذا الموضوع بعرض حجج الأميرة والرد عليها علميًا وأدبيًا . ولكنه ــ أصلحه الله ــ لم يفعل ذلك تمامًا، وإنما أجده قد انفعل كثيرًا بالردود والاعتراضات وذلك على غرار دعواه " إنَّ الأمير بإجماع كل من عَرَفه وأرَّخ له هو أشهر مدافع عن المذهب الصوفي العرفاني للشيخ محيي الدين بن العربي ...وإذا كنت تعتمد على قراءتك لكتاب المواقف فحسب ، وتستنتج منه آراءك الخاصة ، فهذا شأنٌ يعنيك ، ولكن لا يُقبل منك أبدًا أن تطلق الأحكام أو تحلل شخصية وفكر الأمير بناءً عليه، فهذا ليس من الموضوعية أو العلمية في الكلام، فضلاً عن ادّعاء الإجماع على ما توصّلت إليه!" [1] .

- وعلى غرار ردّه على دعوى الأستاذ مفتاح) : والأمير أول من طبع الفتوحات على نفقته! حيث يرد عليه قائلا " وهذه مغالطة كبيرة ، وزعمٌ خاطئ لا يصحُّ أبدًا !وقد تكرر هذا الكلام منه في عدّة مقالات له ، والعجيب صدوره من مثله! فهو كما يذكرون عنه متفرّغ لكُتب ابن عربي وأمضى عمره في دراستها وشرح بعضها والدفاع عن بعضها الآخر والمحاضرة عنها ! فكيف يصدر منه هذا الكلام؟!! ولماذا هذه المغالطات؟! المعروف والثابت أنّ أول طبعة للفتوحات المكية كانت سنة 1274هـ=1857م ببولاق في مصر، يعني قبل أن يقتني الأمير نسخته من الفتوحات

[1] - المرجع نفسه .

بـــ 13 سنة !ثم أُعيد طبعها ببولاق سنة 1293هـــ=1876م بعناية محمد بن عبد الرحمن الشهير بقطة العدوي)الذي أشرف على طبعِ عدّة كتب للشيخ ابن عربي قبل الطبعة الأولى للفتوحات بعقود "[1] .

- ومن ردود الباحث خلدون الحسني على الباحث عبد الباقي مفتاح قوله " عندما أصدرت دار اليقظة كتاب المواقف ذكرتْ في الصفحة الأولى أنها كلّفت لجنة من أكابر وأفاضل علماء دمشق بمراجعتها والوقوف على أصلها وتصحيحها !هكذا زعمت!ولم تذكر أسماءهم!! فعلّق الشيخ عبد الرحمن الحسني حفيد الأمير على ذلك فكتب بخطِّه]:من هي اللجنة العلمية التي قامت بالتصحيح والمراجعة يا حضرة الناشر الظالم[! "[2] .. وغير ذلك من الردود ، التي لا شك أنها ستثري الحياة النقدية والعلمية ، والتي نحن في أمسّ الحاجة إليها ، بدلا من التسليم بكل شيء . والقراءة الحديثة للنصوص تعطي الحكم الأخير للمتلقي ، بعد أن يستجمع كل الأدلة اللازمة ، ويقارن بين أصحاب هذه الآراء والاتجاهات ليدلي بدلوه في هذا النقاش المحتدم ، بين من هم أقرباء للأمير ، وبين المحبّين لعلمه وتصوفه بوصفه قطبا كبيرا من أقطاب تصوف القرن التاسع عشر .

خلاصة واستنتاجات:

من خلال استعراضنا لموقف الأميرة بديعة الحسني ، من مختف ما كتب حول سيرة جدها وتراثه ، ومحاولة دحضها لحجج المتقوّلين على جدها قدّس الله سره ، يمكن القول إن بعض الكتابات التي تناولت شخصية الأمير عبد القادر لا يمكن قبولها على الجملة بل لا بد من غربلتها وفحصها قبل تقديمها إلى طلاب العلم والمعرفة ، لأن فيها كمّا من الأخطاء والمغالطات التاريخية التي لا تتلاءم ومواقف وبطولات الأمير ، وذلك على غرار نقضها لفكرة الاستسلام ، ونقدها لما كتبه المرحوم يحيى بوعزيز في دراسته حول الأمير ، وما يسطّر في بعض الكتب الجامعة لشتات المعلومات من هنا وهناك دون تحليل أو تمحيص ، لكن لا يمكن القبول بنفي كتاب المواقف جملة وتفصيلا ، لأن ما يمكن أن يقال حول بعض العبارات التي تحمل

---

[1] - المرجع نفسه .

[2] - المرجع نفسه .

بعدا صوفيا يمكن قراءتها وفق آليات المصطلح الصوفي ، ووفق الضوابط التأويلية التي تحمل على أفضل وأحسن القراءات ، ولعل هذا بعض ما فعله د/ بكري علاء الدين في مقدمته التحقيقية لكتاب المواقف.

قال الباحث : " وغرضنا من هذه المقدمة هو أن نلفت الانتباه إلى ان في كتاب المواقف للأمير عبد القادر قصيدتين توحيان بتبني مذهب وحدة الوجود (بالمعنى السلبي) ولا يمكن فهم آراء المير فيهما إلا بردهما إلى هذا النوع الخاص من الشعر الصوفي ، هو شعر " الحقائق واللطائف" أي الشعر الذي ينطوي على فكر فلسفي صوفي "[1] ، وقد وضّح الباحث د/ بكري علاء الدين كثيرا من جوانب العلاقة الروحية التي تربط بين الأمير وسلفه محي الدين بن عربي قدس الله سرهما، فقال ما نصه : " بدأ الأمير عبد القادر تأليف كتابه الشهير المواقف في مكة على الأرجح بدءاً من 1279هـ /1862م. وتابع كتابته في دمشق حتى أواخر حياته. وهو في ذلك يسير على خطى ابن عربي الذي بدأ بتأليف الفتوحات في مكة عام 598هـ وأنهاه في دمشق، ثم أعاد كتابته مرة ثانية فيها قبل وفاته بعدة سنوات. ولا تقتصر العلاقة بين الأمير عبد القادر وابن عربي على هذا الشبه في مجال التأليف. إنما تتعداها إلى تفاصيل صوفية عديدة.

أولها أن الاثنين كانا من أصحاب «الجذب». وثانيهما هو أنهما اعتمدا على الإلهام و«الإلقاء الرباني» في كتاباتهما. ولا يخلو موقف من مواقفه من الإشارة إلى حالة وجد أو رؤيا تحمل معها بشارة مطَمْئِنة أو تهديه سلوكاً جديداً. [2] "

ويمكن للقارئ أن يجد مصداق هذه العلاقة المتأصّلة برباط المحبة الإلهية ، في بعض الفقرات من المواقف التي تعرّض لها الأمير عبد القادر ، على سبيل المثال قوله في الموقف الرابع « كنت ليلة بالمسجد الحرام قرب المطاف، متوجها للذكر ، وقد نامت العيون، وهدأت الأصوات ... أخذني الحق عن العالم وعن نفسي»[3] ، وفي

---

[1] - المواقف . تحقيق :د/ بكري علاء الدين . المصدر السابق . ج1 ، ص: 18 .

[2] - الأمير عبد القادر الجزائري قارئاً لفصوص الحكم لابن عربي :*بكري علاء الدين* . http://books.openedition.org . تاريخ الزيارة 2014/12/27 .الساعة 1:11 .

[3] - المواقف . تحقيق :د/ بكري علاء الدين . المصدر السابق . ج1 ، ص:39 .

الموقف الرابع عشر «أُلقي علي وأنا في صلاة الصبح أن " الهداية " إلى الصراط المستقيم جنس لا نهاية لأفراده...» [1] .

إن التناص لظاهر تمام الظهور انطلاقا من الأمير عبد القادر باتجاه روح العالم الجليل محي الدين بن عربي رفع الله ذكرهما ، وكما قال أحد النقاد في دراسة متميزة : " من أجل ذلك سوف يظل الإمام الأكبر محي الدين بن عربي رضي الله عنه مثالا راسخا يحتذى به في مجال الفكر الإنساني ، فهو بحق مرآة للنقاء الإنساني في سموّه وتسامحه ورفعته ، كان التصوف عنده ديانة الحب الأكبر التي تنصهر فيها المتناقضات وتتعايش عبر شكلها التأويلي الجديد في بوتقة واحدة . لقد انتهى ابن عربي ومعه الإنسان الكامل والعارف إلى وجه جديد للتدين والاعتقاد تلخصه هذه الأبيات الموحية الرائعة التي تفيض سماحة وحبا خالصا من ديوانه : (ترجمان الأشواق) والتي أشار فيها إلى أن ناموس الكون قائم على (دين الحب) الذي صهر في قلبه كل العقائد والديانات . إنها نظرة تصلح أكثر لعالم اليوم الممزق بين أديا ط العولمة " الجديدة لمقاومة العرقية والعصبية الاعتقادية بجميع اشكالها ، والتي لا تزال إلى اليوم تشعل فتيل الحروب في مناطق شتى من العالم . فيقول :

لقد صار قلبي قابلا كلَّ صورةٍ فمرعىً لِغزلانٍ ودَيرٌ لرهبانٍ
وبَيتٌ لأَوثانٍ وكَعبـــــــةُ طائفٍ وألواحُ توراةٍ ومُصحفُ قرآنٍ
أَدينُ بدَينِ الحبِّ أنّى توجَّهت ركائبُهُ فالحُبُّ ديني وإيماني[2]

وهذا النص له ما يتقاطع معه في تجربة الأمير الصوفية العميقة ، التي حسبها بعض من يكتب في بعض المواقع الإلكترونية كفرا بالله تعالى ، وهذا مردّه إلى فقدانهم للأدوات المعرفية اللازمة في فك شفرات النصوص الصوفية ، إضافة إلى غياب الأطر المعرفية التي تحكم عالم التصوف والمتصوفين ، ومن ثم فإن فاقد الشيء

---

[1] - المصدر نفسه . ج1 ، ص:51 .

[2] - النص الشعري بوصفه أفقا تأويليا (قراءة في تجربة التأويل الصوفي عند محي الدين بن عربي ديوان " ترجمان الأشواق" نموذجا. د/ لطيف فكري محمد الجودي . مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1432هـ/2011م . ص: 120 .

لا يعطيه ، وهذه القصيدة التي قالها الأمير نقتطف منها هذه الأبيات : " ويقول فيها [من البحر الطويل] ، [على لسان افنسان الكامل]

أنا مطلق لا تطلبوا الدهر لي قيدا ومالِيَ من حدٍّ فلا تبغوا لي حدَّا

إلى أن يقول :

فطورا تراني مسلما أيَّ مسلم زهودا نسوكا خاضعا طالبا مدّا

وطورا تراني للكنائس مسرعا وفي وسطي الزنَّارُ أحكمتُهُ شدّا

أقول باسم الابن والآب قبلَهُ والروح روحِ اقدسِ قصدا ولا كيدا

وطورا بـــ" مدارسِ" اليهودِ مدرّساً أقرِّرُ توراةً وأبدي لهم رشدا

فما عبد " العزيرَ" غيريَ عابدٌ ولا أظهرَ التثليثَ غيري ولا أبدى

ولا أورى نارَ الفرس غيريَ موريٌ وما قال بالاثنين إلا أنا لحدا

أنا عينُ كلِّ شيءٍ في الحسِّ والمعى ولا يء عيني احذروا العكس والطردا[1]

ويعلق الباحث د/ بكري علاء الدين على النص الشعري للأمير قائلا : " وفي هذه القصيدة تقليد لقصيدة ابن عري المشهورة في ديوانه " ترجمان الأشواق " ، وهي التي يرى المختصون أنها تفصح عن مذهب وحدة الأديان ، والواقع فإن هذه القصيدة لا يمكن أن تفهم إلا على أنها تعبير عن تجربة صوفية يبلغ فيها الصوفي مرتبة " يترجم " فيها عن " لسان الحقيقة المحمدية " أو الإنسان الكامل "[2].

ثم يعلّق على أبيات ابن عربي السابقة قائلا : " ولما كان الإنسان الكامل واسطة كونية بين الله والعالم فإن عليه ان يجسد في شخصه على شكل تركيب متعالٍ كل تجارب الإنسانية في العبادات والطقوس والعقائد ، وهو يعطي القيمة فسها لكل الأديان من خلال تعبّده بها جميعا وإلا فإنه إن اخلّ بواحد منها ، نقص منه بقدرها من كمال معرفته بالله " [3] .

---

[1] - المواقف . المصدر الساق . ج1 ، ص: 22 ، 23

[2] - مقدمة المواقف . المصدر السابق . ج1 ، ص: 22

[3] - مقدمة المواقف . المصددر السابق . ج1 ، ص: 22 ، 23 .

وفي الحقيقة وحسب تعبير الباحث المحقق فإن " هذا المذهب الصوفي الفلسفي غير موجه للطبقة المثقفة العادية (الخواص ، أو الفقهاء) من المسلمين وإنما هي بحسب تعبير ابن عربي موجه على " خاصة الخاصة " وبما أن المرء " عدو ما جهل " حسب المثل المشهور ، فإن اسهل الحلول لمن يستعصي عليه فهم مذهب ابن عربي هو اللجوء إلى التكفير ... وغالبا ما يتسلح به كبار الجهلة كوسيلة للظهور في المجتمع بمظهر الغيور على الدين والمنافح عنه اتجاه أعدائه !" [1].

وانطلاقا من القراءة التأويلية للنص الشعري الصوفي سواء عند ابن عربي أو الأمير عبد القادر ، فإن القارئ يلمس تلك الرؤية الحضارية الواسعة والشاملة لمفهوم الإنسان وجوهر التديّن الحقيقي ، الذي مرجعه في النهاية لرب الكون والناس أجمعين ، الذي حض على تحقيق مفهوم التقوى في إطار العائلة الإنسانية الكبيرة الجامعة ، مهما اختلفت الألوان وتباينت اللغات . وعلى كل حال ، ونظرا لعمق الموضوع ، ولمعرفة القراءة التأويلية وفق المنظور الصوفي يرجى الرجوع للمقدمة التي كتبها الباحث د/ بكري علاء الدين ، فهي مفيدة وممتعة في بابها . لاسيما للمطلب الذي خصصه للتأويل حيث يقول فيه ما نصه : " وتجنبا لسوء الفهم الذي لحق بالصوفية فإنهم لجؤوا إلى التأويل ، ولن نستطرد هنا طويلا بل نعطي المثل الذي أعطاه ابن عربي نفسه في هذا الموضوع في كتاب الفتوحات المكية فهو يقول ابنعربي معبرا عن صعوبة فهمه على طريقة " المعنى في قلب الشاعر " : " كما قلنا في نظم لنا :

يا من يراني ولا أراه كم ذا أراه ولا يراني

فقال لي بعض إخواني : كيف تقول إنه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك ؟ فقلت له في الحال مرتجلا :

يا من يراني مجرما ولا أراه أخذا
كم ذا أراه منعما ولا يراني لائذا"

[1] - مقدمة المواقف . المصدر السابق . ج1 ، ص: 21 .

والدرس الذي يجب أن يستفاد من هذا الكلام هو ما ألح عليه الصوفية من أن لهم " مصطلحا ولغة توافقوا عليها لا يمكن فهمهم دون الرجوع إليها . والذي لا يمكن للمسلم العادي أو أي إنسان ان يفهمه من كلام الصوفية أو ما يُشكِل عليه من أقوالهم فإن عليه أن يدرك على الأقل بأن خلف المعنى الظاهر معنى أو معانٍ أخر يحسن من اجلها الرجوع إلى من يستطيع تأويلها "[1]. ويمكن أيضا الرجوع إلى مقدمة المحقق القيمة التي يجلي فيها بعض الحقائق الغائبة عن أذهان المتسرعين في الحكم بتهمة التخوين والتكفير بسبب الجهل والتعنّت وغياب الوعي السياقات التاريخية والحضارية ، وقلة بضاعتهم في علوم اللغة والتصوف والفلسفة يقول المحقق :" أما من يصر على موقفه السلبي من فكر الأمير الفلسفي والصوفي فإن عليه الالتزام بالبيتين اللذين وردا على غلاف مخطوطات كتاب المواقف وكان أنشهما من قبله الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثاني للهجرة :

لو كنت تعلمُ ما أقولُ عذرْتني أو كنتُ أجهلُ ما تقولُ عذلتُك
لكن جهلتَ مقالتي فعذلْتَني وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرْتُك[2]

الخاتمة :

حاولت الأميرة بديعة الحسني بكل ما أوتيت من معرفة واطلاع ، ومعايشة لتراث جدها قدس الله روحه ، أن تغربل التاريخ ، وتنقّيه مما علق به من شوائب المنتحلين ، وأباطيل المبطلين ، وتقوّلات المتقوّلين ، على حسب آرائهم واتجاهاتهم ، وهذا حسبما أدى إليه اجتهادها ودراستها ومقارنتها لمختلف المصادر التي تناولت حياة جدّها وتراثه الكبير ، وقد حاول البحث أن يرصد مجمل أدلّتها في نفي نسبة كتاب المواقف في التصوف لجدها الأمير لعدّة اعتبارات ذكرناها في صلب البحث ، وهي مبسوطة في كتابها (الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف) ، وهي تحسب أن المواقف لا يمكن ان يعكس حقيقة شخصية الأمير التي عايشها الناس صغارهم وكبارهم عارفهم وجاهلهم ، تلك الشخصية التي قاومت وجاهت في سبيل الله حق الجهاد ، ونازلت المحتل الفرنسي سبعة عشر عاما ، وما هانت ولا استكانت ولا

[1] - مقدمة المواقف . المصدرر السابق . ج1 ، ص: 26 .
[2] - مقدمة المواقف . المصدرر السابق . ج1 ، ص: 30 .

استسلمت كما تزعم الكتابات التاريخية التي فنّدتها بالأدلة العلمية التي توافرت لديها منطلقة من نقد النص البشري ، الذي لا يعدو أن يكون مجرد كتابة تخضع للاعتبارات السياسية والتوجهات الأيديولوجية.

ومن ثم فقد آن الأوان لتنقية تراث الأمير من كل الشوائب والطفيليات التي علقت به ، مهما تردّدت في كتابات كبار الكتاب ، فالحق أحق أن يتبع . كما استعرض المقال مختلف ردود الفعل التي آثارتها كتابات هذه الأميرة البديعة في طرحها والقوية في استنتاجاتها ، والمدافعة بإصرار عن أطروحتها ، إلى أن يأتي النقيض أقوى من دليلها وبرهانها ، وانقسم المتلقّون لأطروحتها بين متقبّل لها مدافع عنها ، وبين معاكس لها ، ناقدا لها وناقضا لفكرتها من الأساس . وبين متوسط بين هذا وذاك . ويبقى الباب مفتوح على مصراعيه للقراء المتمكنين من تراث الأمير ، ومن لديهم خبرة بمخطوطات الأمير للإتيان بكلمة الفصل في هذا الموضوع الذي يبقى مفتوحا على جميع الاحتمالات ، ولكن الشيء الذي لا يمكن نكرانه ، هو أن شخصية الأمير وتراثه المتنوّع سيبقى دائما مصدرا لإبداعات المبدعين ، وتحريك همم الباحثين ، لإعادة النظر في كل ما يكتبونه ، متسلحين بالأدوات المعرفية اللازمة ، وتحرّي الموضوعية العلمية الصارمة التي لا تحابي أحدا ، ولا تتعصّب ، ولا تنحاز إلا للحق ، والحقيقة العلمية ، التي يجب أن تكون الهدف الأسمى لكل ما يكتب أو يقال . مع ضرورة التأكيد على احترام كافة الآراء والمعتقدات ، وقول كلمة الحسنى للناس قاطبة ، والمجادلة بالتي هي أحسن وهي من أسس الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، مع وجوب الترفّع عن كل أسباب الشقاق والمهاترات الفارغة التي لا تخدم البحث العلمي ، وإنما تعمّق الفجوة وتزرع بذور الكراهية والتعصب التي حاربها الإسلام ولا يزال ، عبر المعجزة الخالدة الباقية كتاب الله تعالى .

قائمة المصادر والمراجع

1. الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) . دار العلم للملايين.الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م.
2. أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة : محمد بسكر . دار كردادة للنشر والتوزيع ، بوسعادة ، الجزائر ، طبعة خاصة 2013م .

3. الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف , دار المعرفة ، باب الوادي ، الجزائر ، 2008 حسب الإيداع القانوني .

4. الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري سيرته الذاتية وجهاده : د/ يحيى بوعزيز . الأعمال التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز . عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، طبعة خاصة 2009م .

5. ترتيب الأعلام على الأعوام (الأعلام لخير الدين الزركلي) : رتبه وعلق عليه : زهير ظاظا . فهرس كتابي : الأعلام والترتيب : محمد نزالا تميم وهيثم نزار تميم . شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان (دون تاريخ).

6. تعريف الخلف برجال السلف : أبو القاسم محمد الحفناوي . تقديم : محمد رؤوف القاسمي الحسني . (الأنيس سلسلة العلوم الإنسانية تحت إشراف علي الكنز) .موفم للنشر .طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، 1991م .

7. الموسوعة العربية العالمية . مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع (1419هـــ (1999م) . الرياض ، المملكة العربية السعودية . ط2 1419 هـــ(1999م) .

8. الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه : محمد السيد محمد علي الوزير. الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر 2007م.

9. بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري : د/ يحيى بوعزيز . الأعمال التاريخية . طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين ، عالم المعرفة ، الجزائر 2009 .

10. تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (المتوفى: 1346هـ) . دار المشرق – بيروت.

11. تاريخ الجزائر العام . عبد الرحمن بن محمد الجيلالي . دار الأمة ، برج الكيفان ، الجزائر ، طبعة 2009م ..

12. التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1847/1808): د ـــ أديب حرب . دار الرائد للكتاب . الجزائر ، الطبعة الثالثة 2005م .

13. حاضر العالم الإسلامي تأليف : لوثروب ستودارد المريكي . نقله إلى العربية : أ : عجاج نويهض . وفيه فصول وتعليقات وحواش مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث . بقلم أمير البيان والمجاهد الكبير : الأمير شكيب أرسلان . مكتبة ابن تيمية . القاهرة .

14. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر : عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (المتوفى: 1335هـ) .حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار – من أعضاء مجمع اللغة العربية . دار صادر، بيروت .الطبعة: الثانية، 1413 هـ – 1993 م.

15. حياة الأمير عبد القادر : شارلز هنري تشرشل . ترجمة وتقديم وتعليق : أبو القاسم سعد الله . عالم المعرفة ، الجزائر ، طبعة خاصة 2009م .

16. طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر : الآغا بن عوده المزاري . تحقيق ودراسة : د/ يحيى بوعزيز . دار البصائر ، الجزائر ، الطبعة الأولى 2007م .

17. مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849 تنشر لأول مرة .: تحقيق : د/ محمد الصغير بناني وآخران . أخرج أحاديث الطبعة : أ : عبد المجيد بيرم . دار الأمة ، الجزائر .

18. معجم الأدباء والعلماء المعاصرين من 1798 إلى 2009 . الدار الوطنية للكتاب ، دراية ، الجزائر العاصمة . الطبعة حسب الإيداع القانوني 2009م .

19. معجم المطبوعات العربية والمعربة : يوسف بن إليان بن موسى سركيس (المتوفى: 1351هـ)الناشر: مطبعة سركيس بمصر 1346 هـ – 1928 م.

20. موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين : إعداد مجموعة من الأساتذة . تقديم : أ.د: محمد الأمين بلغيث . إشراف : رابح خدّوسي . منشورات الحضارة ، بئر التوتة ، الجزائر ، طبعة 2014م .

21. النص الشعري بوصفه أفقا تأويليا (قراءة في تجربة التأويل الصوفي عند محي الدين بن عربي ديوان " ترجمان الأشواق" نموذجا. د/ لطيف فكري محمد الجودي . مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1432هـ/2011م .

22. وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ويليه ديوان العسكر المحمدي المليانى : قدور بن رويلة . تقديم وتحقيق : أ : محمد بن عبد الكريم . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، سبتمبر 1968 .

23. وما بدلوا تبديلا : الأميرة بديعة الحسني الجزائري . ترجمة : د/ أبو القاسم سعد الله . دار الوعي . ، رويبة ، الجزائر.

المواقع الإلكترونية :

1. Sana الوكالة العربية السورية للأنباء . http://sana.sy

2. جريدة البناء (يومية سياسية قومية اجتماعية) *www.al-binaa.com*
3. http://www.djelfa.info/jhvdo
4. http://books.openedition.org .
5. موقع سيدتي . www.sedty.com
6. .http://www.echoroukonline.com
7. ww.odabasham.ne